

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

قسم اللغة والأدب العربي
المرجع:

معهد الآداب واللغات

بنية الوصف ووظائفه في رواية شجرة مريم لسامية بن دريس

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الأستاذة:

د. مريم بغيغ

إعداد الطالبتين:

* هاجر حافي راسو

* خولة بلجعطيط

السنة الجامعية: 2021/2020

CORONAVIRUS
COVID-19



الله أكبر

شكر وعرفان:

في البداية الشكر لله الذي أعاننا على إنهاء هذا العمل فالحمد لله
الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة
إلى من أعطى وجزل بعطاته إلى من سقى وروى جامعتنا علما
وثقافة

إلى من ضحى بوقته وجهده... أستاذتنا الغالية "مريم بغيغ"
كما نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو
بعيد على إنجاز هذا العمل

كما نتقدم بالشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة الموقرين على
قبولهم مناقشة هذه الدراسة وإثرائها بتوجيهاتهم ونصائحهم
وفي الأخير نسأل الله العلي القدير أن يجعل عملنا خالصا لوجهه
الكريم وأن ينفعنا بما علمنا ويزدنا علما إنه ولي ذلك والقادر عليه

مَقْدَمَةٌ

خضعت المفاهيم المتعلقة بالوصف إلى العديد من التحولات والتغيرات منذ بداية الدراسات الأدبية، وذلك منذ فترات طويلة، حيث جعلته يتخذ من مختلف تلك الدراسات قالبه الخاص المناسب له، وإن كانت وجهات نظر النقاد مختلفة ومتعددة فهي لا محالة تصب في نهر واحد؛ أما بالنسبة للعلاقة بين الوصف والسرد، فالباحثون يرون بأنهما يتقاربان تارة ويتباعدان تارة أخرى، وقد جاء الوصف ليغذي النص السردي ويجعله أقرب إلى القارئ، ووجوده ضروري في الرواية فهو يصور لنا خلفيات القصة وذلك من أجل تقديم صورة دقيقة للقارئ.

ولأجل إثراء الدراسات الخاصة بالسرد الجزائري اخترنا موضوع "بنية الوصف ووظائفه في رواية شجرة مريم" للروائية الجزائرية "سامية بن دريس"، وذلك لحضور الوصف المكثف في الرواية وكذا الأهمية الكبيرة التي تربط الوصف بالنص السردي والذي من خلاله تسنى لنا رسم ديكور النص والأشخاص والأبعاد الزمكانية، وقد أردنا الخروج عن نمط البحوث المقدمة التي تدرس الجمالية إلى دراسة البنية وخاصة بنية الوصف.

وقد حاولنا الإجابة على مجموعة من التساؤلات منها:

- ما دلالة الوصف في الخطاب الروائي؟

- ما هي تجليات الوصف في رواية شجرة مريم؟

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج البنوي لأنه الأنسب لدراستنا، ومن خلال رجوعنا إلى مراجع الدراسة في هذا الموضوع منها: كتاب "فيليب هامون" المترجم "في الوصفي" وكتاب "جون ميشال آدم وبوتي جون" "le texte descriptif" وكتاب "محمد نجيب العمامي" في الوصف بين النظرية والنص السردي"، وكتاب "الصادق قسومة" طرائق تحليل القصص واعتمدنا على مصادر ثلاث تمثلت في القرآن الكريم، والمعاجم العربية، ورواية "شجرة مريم".

وقد اعتمدنا على خطة بحث حملت ثلاثة فصول، الفصل الأول والذي يمثل الجانب النظري بعنوان (الوصف مقارنة نظرية)، وقد تطرقنا فيه إلى مفهوم الوصف لغة واصطلاحاً عند العرب والغرب، ثم تناولنا العلاقة بين الوصف والسرد، وبعد ذلك بنية الوصف، ثم وظائف الوصف، أما الفصل الثاني تحت عنوان (بنية الوصف في رواية شجرة مريم) وتحت هذا العنوان الرئيس عناصر فرعية ألا وهي: الوصف عن طريق القول، الوصف عن طريق الرؤية، الوصف عن طريق الفعل، وقد استخرجنا شجرة الوصف من كل مقطع ومثال اتخذناه وذلك للتوضيح أكثر.

أما الفصل الثالث المعنون بـ (وظائف الوصف في رواية شجرة مريم) حيث استخرجنا وظيفتين، الأولى حكاية والأخرى دلالية، حيث تفرعت منهما مجموعة من الوظائف كانت حاضرة في الرواية فأشرنا إليها بالأمثلة.

وقد لاقينا في بحثنا هذا عدة معيقات من بينها عدم التمكن الإمام بالموضوع، وذلك لتسببه فهي تحتاج إلى توسع أكبر وكذلك لضيق الوقت.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث ولأستاذتنا المشرفة "مريم بغيغ" التي لم تبخل علينا من علمها الوفير، ونصائحها القيمة وتواضعها معنا، ومتابعتها لبحثنا خطوة بخطوة.

الفصل الأول:

الوصف مقارنة نظرية

1. مفهوم الوصف: لغة واصطلاحا
 2. الوصف والسرد
 3. بنية الوصف
 4. اندراج الوصف في السرد
 5. وظائف الوصف
-

1. مفهوم الوصف لغة واصطلاحاً:

يعتبر الوصف من الأساليب الفنية التي احتلت مكانة مرموقة في كل الأجناس السردية سواء أكانت حكاية أو قصة أو رواية، حيث " لا يمكن لأي منها الاستغناء عن الوصف بل إنك لتجد هذا الوصف يتبوأ فيها المنزلة الكريمة"⁽¹⁾، فالوصف " في معناه العام ليس خاص بالقصة ولا حتى بالأدب ولا هو منحصر فيهما لأنه في الحقيقة متصل بمجالات كثيرة"⁽²⁾.

1. لغة:

ورد في لسان العرب في مادة (و.ص.ف): " وَصَفَ الشَّيْءُ لَهُ وَعَلِيهِ وَصْفًا، وَصَفَهُ: حَلَّاهُ، وَالْهَاءُ عَوْضًا عَنِ الْوَاوِ، وَقِيلَ الْوَصْفُ: الْمَصْدَرُ، وَالصِّفَةُ: الْحَالِيَةُ، وَاسْتَوْصَفَهُ الشَّيْءُ: سَأَلَهُ أَنْ يَصِفَ لَهُ"⁽³⁾.

وفي حديث عمر رضي الله عنه قال: " إن لا يَشِفُّ فَإِنَّهُ يَصِفُ فَأَيَّ يَصِفُهَا وَيُرِيدُ الثَّوْبَ الرَّقِيقَ إِنْ لَمْ يَبِينْ مِنْهُ الْجَسَدَ لِرِقَّتِهِ يَصِفُ الْبَدْنَ، فَيُظْهِرُ مِنْهُ حُجْمَ الْأَعْضَاءِ فَشَبَّهَ ذَلِكَ بِالصِّفَةِ كَمَا يَصِفُ الرَّجُلَ سَلْعَتَهُ"⁽⁴⁾.

وجاء في قاموس المحيط في مادة (وصف): " والصفة كالعلم والسواد، وأما النحاة فإنما يريدون بها النعت، وهو اسم الفاعل، والمفعول أو ما يرجع إليهما عن طريق المعنى كمثل وشبه"⁽⁵⁾.

(1) عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، في بحث تقنيات السرد، سلسلة الكتب الثقافية الشهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ديسمبر 1998، صفحة 250.

(2) صادق قسومة: طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس، د ط، 2000، صفحة 162.

(3) ابن منظور: لسان العرب، تح: عامر حيدر، مر: عبد المنعم خليل إبراهيم، المجلد 6، باب (الواو)، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط1، 2003، صفحة 4849.

(4) ابن منظور: لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، 1968، المجلد9، صفحة 356، 357.

(5) قاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز الأبادي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1371هـ/ 1952م، مادة (وصف).

الفصل الأول ————— الوصف مقارنة نظرية

وفي معجم متن اللغة يقول الشيخ أحمد رضا: " الوصف: النعت يكون في الحق والباطل"(1).

أما في القرآن الكريم، فقد وردت مادة (وصف) بعدة صيغ، وتضمنت معنى الكذب أو ما يتعلق به، ويدلنا على ذلك سياق الآيات منها قوله تعالى:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۗ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ سورة النحل، الآية 62.

وكذلك قوله تعالى:

﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَيْبِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۗ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَلْسِنُكُمْ أَمْرًا ۗ فَصَبْرًا جَمِيلًا ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ سورة يوسف، الآية 18.

لقد أخذ الوصف في اللغة معان كثيرة منها الكشف، وعدّ أيضا زينة وحلية، وأن الوصف نعت للموصوف بما فيه، أما في القرآن الكريم فمعناها الكذب.

ب. اصطلاحا:

تعددت مفاهيم الوصف وتنوعت وإن اختلفت لفظا إلا أن معناها يصب في نهر واحد ويحمل في طياته الفكرة نفسها، ومن هذه التعريفات نذكر ما يلي:

ويعرف قدامى بن جعفر الوصف بقوله: " ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني التي الموصوف المركب منها، ثم بإظهارها فيه وأولها حتى يحكيه بشعره ويمثله بالحسن لنعته"(2).

وهذه الأبيات للطيب المتنبي يصف فيها خيمة سيف الدولة الحمداني:

عليها رياض لم تحكها سحابة وأغصان دوح لم تغن حمامه

(1) معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1380هـ/1960م، المجلد الخامس، صفحة 766.

(2) أبو الفرج قدامى بن جعفر: نقد الشعر، دار الكتب العلمية، تح: محمد عبد المنعم الخفاجي، بيروت_ لبنان، د ط، 1907، صفحة 130.

الفصل الأول — الوصف مقارنة نظرية

فوق حواشي كل ثوب موجه من الدر سمط لم يتقبه ناظمه

تري حيوان البر مصطلحا بها يحارب ضد ضده ويسالمة

إذا أضرته الريح ماج كأنه تجول مدكيه تدأى ضراغمه

" هو نشاط فني يمثل باللغة الأشياء والأشخاص والأمكنة وغيرها وهو أسلوب من أساليب القصة، ويتخذ أشكالا لغوية كالمفردات والمركب النحوي والمقطع وأيّا يكن شكله اللغوي فهو يخضع لبنية أساسية"⁽¹⁾.

فالوصف له ثلاثة عناصر أساسية وهي: الأشياء، الأشخاص والأمكنة، وله أشكال لغوية فهو يأتي في شكل مفردات ومركب نحوي أو مقطع.

وفي موضع آخر يعرف الوصف أنه: " أسلوب إنشائي يتناول ذكر الأشياء في مظهرها الحسي ويقدمها للعين أي النظر ويمثل الأشكال والألوان والظلال ولكن ليست هذه العناصر الحسية الوحيدة المكونة للعالم الخارجي فإذا تفرد الرسم بتقديم هذه الأبعاد، بالإضافة إلى اللمس حيث أن الرسم يستطيع أن يوحي بالنعومة والخشونة، فإن اللغة قادرة على استحياء الأشياء غير المرئية"^(*)(2).

فإن الوصف بمثابة المجهر الذي يرصد أدق التفاصيل المرئية منها فالمحسوسة فالوصف إذن يمكن أن يتجاوز الصور المرئية إلى صور غير مرئية، وهو آلية تصور العالم الخارجي تصويرا دقيقا وذلك عن طريق اللغة.

(1) محمد خبو: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010، صفحة 427.

(*) الأشياء غير المرئية: الصوت والرائحة.

(2) سيزا أحمد قاسم: دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1978، صفحة

الفصل الأول ————— الوصف مقارنة نظرية

وفي موضع آخر اعتبر الوصف: " عنصرا مهما من عناصر السرد بل إنه يكون أكثر ضرورة للنص السردى من السرد على اعتبار أنه لا يوجد عمل إبداعي تعرفه الحكاية طريقه يأتي خاليا من الوصف، فالوصف آلية فعالة في عالم السرد، حتى إنه لا ينهض بذاته"(1).

السرد لا يستطيع أن يتخلى عن عنصر الوصف لأنهما مترابطان بل أكثر من ذلك فبلغ الوصف أهمية أكثر من السر بحد ذاته، ولا يستطيع أن يتبرأ منه كل نص سردي.

لقد خصص جيرار جينات تعريف للوصف: " كل حكي يتضمن سواء بطريقة متداخلة أو بنسب شديدة التغير أصنافا من التشخيص للأعمال أو أحداث تكون ما يوصف بالتحديد سردا (Narration) هذا من جهة، ومن جهة أخرى تشخيص للأشياء أو أشخاص وهو ما ندعوه في يومنا هذا وصفا (Description)"(2).

لقد ربط جيرار مفهوم الوصف بالحكي، فسمى عملية التشخيص وصفا، سواء للأحداث أو الشخصيات، فكل عملية حكي تحمل في طياتها تشخيص هي وصف.

أما "فيليب هامون" يرى أن الوصف وحدة نصية مثلها في ذلك مثل السرد والحوار والمشهد، بمعنى أنه: " تعريف منقوص يحاول فيه المؤلف التعريف بشيء ما بواسطة بعض الخصوصيات والملابسات الخاصة الكافية لإعطاء فكرة عنه، ولتمييزه عن الأشياء الأخرى ولكنه لا يحلل طبيعته ولا جوهره... ويبدو الوصف للوهلة الأولى تعريفا بل قابل للتحويل إلى الشيء الموصوف، ولكنه لا يعرفه بعمق، لأنه لا يتضمن صفته الرئيسية في مقابل التعريف الذي هو عرض موجز دقيق لمنظومة معارفنا المتعلقة بالموضوع المحدد ينبغي أن يكون... نتيجة معقولة للمعطيات المزدوجة التي توفرها التجربة"(3).

(1) عبد الناصر هلال: آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، تص: عبد الحليم فرحات، الناشر: مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 2006، ص 134.

(2) حميد لحميداني: بنية النص السردى المنظور الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، الحمراء، ط1، 1991، ص 78.

(3) فيليب هامون: في الوصف، تر: سعاد تركي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، ط1، ص 45.

الفصل الأول ————— الوصف مقارنة نظرية

وجاء في قاموس السرديات لجيرالد برنس: " أن الوصف تقديم تمثيل الأشياء والكائنات والمواقف أو الأحداث في وجودها المكاني عوضا عن وجودها الزماني وفي أدائها لوظيفتها الطوبولوجية عوضا عن وظيفتها الكرونولوجية وفي تزامنها وليس في تتابعها الزمني"(1). وبهذا تصبح كل الظواهر السردية قابلة للوصف حتى الوقائع والحوادث.١.

فكل من جيرالد و فيليب هامون يتفقان حول مفهوم الوصف كونه يركز على الخصائص الشكلية للشيء (الموضوع) دون أن يتجاوزها إلى المحددات العميقة (الرئيسة) للموضوع.

ويشير جون ريكاردو "Jean Ricardou" فيقول: " الوصف الخالق سباق في اتجاه معاكس للمعنى، ذلك أن المعنى الذي يتبعه الوصف يتطور ويتجه إلى غرض نفسه ويجنح، وهو يغلق المنافذ على معنى آخر إلى أن يقود الحركة الوصفية"(2).

فهو يشير في تعريفه إلى أن هناك علاقة بين الوصف والمعنى وما الشيء الذي يتقصده الواصف، فكلما كان الوصف دقيقا كلما كان المعنى واضحا.

ومما سبق نخلص أن الوصف يتجاوز ذكر الأشياء الملموسة والمحسوسة إلى الأشياء غير المحسوسة كالرائحة والصوت مثلا، ونجد السرد لا يمكن أن يقوم بدون وصف وهناك من يعتبره تحديدا للأمكنة وآخر رسم لصور شخصيات معينة وهناك من يجمعهما معا.

II. الوصف والسرد:

عرّف السرد في المعاجم والكتب النقدية تعاريف مختلفة وتعني التتابع في الحديث والمولات كما يعني المهارة في النسج والسبك(1).

(1) جيرالد برنس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام (C) ميرث لنشر المعلومات (ب) شارع قصر النيل، القاهرة، د ط، 2003، ص43.

(2) جون ريكاردو: قضايا الرواية الحديثة، تر: صباح الجثيم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1988، ص 165.

الفصل الأول ————— الوصف مقارنة نظرية
والسرد " هو شكل المضمون، والرواية هي سرد قبل كل شيء ذلك أن الراوي عندما
يكتب رواية ما يقوم بإجراء قطع واختيار للوقائع التي يريد سردها"(2).

1. العلاقة بين الوصف والسرد:

اختلف الباحثون في قراءتهم لهذه العلاقة أو في تقديرهم للمسافة وصف/ سرد، حيث
يتباعدان الحدان في نظر الباحثين حتى يبدو أن على طرفي نقيض ويتقاربان عند البعض
الآخر إلى حد التداخل والالتباس، حيث نجد أن جيرار جينات أشار إلى هذه العلاقة
(وصف/ سرد) وذلك في مقابلة حديثة العهد في الحقيقة، حيث أنها لم ترد لا عند "
أفلاطون" ولا "أرسطو" إنما يرى " بأن الوصف المشدد عليه من قبل التقليد المدرسي له من
المميزات الكبرى لوعينا الأدبي، ويتعلق الأمر بتمييز حديث العهد نسبيا، وهو التمييز الذي
ينبغي يوما ما دراسة نشأته وتطوره في نظرية وممارسة الأدب للوهلة الأولى لا يبدو أن هذا
التمييز كان موجودا وجودا جادا فاعلا قبل القرن التاسع عشر ميلادي"(3).

ومن هنا نجد " جيرار جينات" من المؤيدين لهذه العلاقة أو المقابلة الذي يعني تقليص
حدودها بل يذهب إلى أبعد من ذلك حين يقلب طرفي المعادلة في قوله: " يمكن دونما
غموض يدك تصور نصوص وصفية خالصة موقوفة على تمثيل الأشياء في حدود كينونتها
الفضائية خارجة عن أي حدث، بل وأي بعد زمني وإنه لمن السهولة بمكان تصور وصف
خالٍ من عنصر سردي أكثر مما يمكن تصور العكس"(4).

فالحديث عن حدث أو قضية ما قد تحتل بداية للوصف، فمثلا: جملة (المنزل أبيض
بسقف من لوح أزرق ومصراعين أخضرين) فهي لا تجوز أي سمة سردية مميزة. بينما جملة

(1) انظر: لسان العرب (مادة سرد).

(2) آمنة يوسف: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط2، ص 37.

(3) رولان بارت وآخرون: طرائق تحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب العرب، المغرب، الرباط، ط1، 1998، ص

76.

(4) رولان بارت وآخرون: طرائق تحليل السرد الأدبي، ص 76.

الفصل الأول — الوصف مقارنة نظرية

من قبيل (دنى رجل من المائدة وأخذ سكين) تتضمن على الأقل إلى جانب فعلي للحدث ثلاث موصوفات مهما قلت نعوتها يمكن اعتبارها بمثابة عناصر واصفة لحدث واحد لمجرد أنها تعني الكائنات... وحتى الفعل يمكن أن يكون وصفي بهذا القدر أو ذاك من خلال الدقة التي يمنحها لعرض الحدث... والنتيجة ما هي إلا وجود لفعل منزه كلي عن الصدى الوصفي لذا نستطيع القول بأن الوصف أكثر لزوما للنص من السرد⁽¹⁾.

فجينات يرتكز في بسط رؤيته على تفنيد المقولة التي تخص الأفعال وحدها بالتعبير عن الأحداث أو تجسيد البعد السردي للنص، أما الصفات والأسماء مثلا فتخدم وتختص بالوصف والتمثيل، هذه الرؤية يشاركه فيها "رولان بارت" الذي أشار في بداية حديثه إلى " أن الوظائف والدلائل تعطي تميزا كلاسيكيا من حيث أن الأولى تتناسب مع وظيفة الفعل والثانية تتناسب مع وظيفة الكينونة"⁽²⁾.

ثم يوضح أنه: " لا يمكن اختزال الوظائف إلى أعمال (أفعال) كما لا يمكن اختزال الدلائل إلى نوعيات (صفات) فثمة أعمال هي دلائل لأنها إشارات تدل على طبع أو بيئة"⁽³⁾.

فجينات يرى أن الوظائف لا تتعلق فقط بالأفعال كذا الدلائل لا تختزل أو تتناسب فقط مع الصفات، فقد توجد أعمال تتناسب مع الدلائل.

فيقول "جيرار جينات" "... فالوصف يجوز تصويره مستقلا عن السرد بيد أننا لا نكاد نلقاه أبدا في حالة مستقلة، إن السرد لا يقدر على تأسيس كيانه بدون وصف غير أن هذه التبعية لا تمنعه من أن يقوم باستمرار بالدور الأول فليس الوصف في واقع الحال سوى خادم لازم للسرد"⁽⁴⁾.

(1) المرجع نفسه، ص نفسها.

(2) رولان بارت: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عياشي، ص 46.

(3) المرجع نفسه، ص نفسها.

(4) جيرار جينات: حدود السرد، تر: بن عيسى بوحاملة، مجلة آفاق، ص 59.

الفصل الأول ————— الوصف مقارنة نظرية

فالوصف من أساسيات السرد، حيث لا يمكن للسرد أن يتكون من دون وصف، فيمكن للوصف أن يكون مستقلاً بذاته، عكس السرد لا يمكن أن يؤسس كيانه من دونه، غير أن السرد هو الركيزة والمأوى الأساسي الذي لا يمكن للوصف أن يتكون فيه.

ويؤكد "جان ريكاردو": "نعلم أنه وفيما يتعلق بالنص فإن طريقتي العرض الرئيسيتين فيما يبدو هما الوصف والسرد، ينهض الأول بتقديم الأشياء والثاني بعرض الأقوال"⁽¹⁾.

فهو يتحدث عن العلاقة بين السرد والوصف في اتجاه آخر، ف"جان ريكاردو" يقر من جهة أن العلاقة بينهما ضرورية ولكنها في نظره ليست سليمة، فهي علاقة تعايش.

ويرى "هامون": "أن الذاكرة الداخلية الوصفة الملتزمة في صميم الوصف ذاته محدودة المدى (...). ذات نسق قريب بدلاً من النسق البعيد، نسق الذاكرة السردية على نحو أدق"⁽²⁾.

ومن جهة أخرى فإن النصوص السردية تأنف _عادة_ "من تكرار الأوصاف المتماثلة داخل زمانية النص الواحد، إن الوصف منزل يقدم مرة واحدة نهائية بينما يعتمد النص السردى تلقائياً إلى تكرار الأفعال نفسها"⁽³⁾.

وعادة ما تكون "البنية السردية قابلة أو محولة (إلى فيلم) أو قابلة للتلخيص صور متحركة)، فهي تحظى _على مستوى بنيتها المعقدة_ بحرية متفاوتة بالنسبة إلى تجلياتها السيميائية وطراق استعمالاتها الأسلوبية ذات مرونة دلالية (...). في حين يبدو الوصف أكثر من القصة مقاومة للإجراءات إعادة الكتابة أو المناقلة"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ Jean Ricardou: Nouveau du roman écrivains du seul, 1978, p185.

⁽²⁾ فيليب هامون: في الوصفي، تر: سعاد التريكي، ص 81.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 82.

⁽⁴⁾ فيليب هامون: في الوصف، تر: سعاد التريكي، ص 81.

الفصل الأول — الوصف مقارنة نظرية

ومن جهة التلقي، نجد أن البنية السردية تستدعي " من القارئ قدرته منطقية الصيغة (...) وهي تفعل تشكيلة من الأصناف المتكاملة والمتلازمة، تشكيلة تتركب في بنيتها العميقة من نسق مسافات متوقعة ومن لائحة أوضاع أولية في حين يبدو النظام الوصفي أكثر تركيزاً على البنى السيميائية السطحية منه على البنى المعمقة وعلى الهياكل المعجمية للنص أكثر منه على بنيته المنطقية الدلالية الأساسية (...) وينظر القارئ في قصة ما مضامين يمكن استنباطها بتفاوت، أما في الوصف فهو ينتظر تصريف مخزون معجمي وجدول ألفاظ كامن، وهو في القصة ينتظر نهاية ومحطة أخيرة، وفي الوصف ينتظر نصوصاً. وعند ذلك يدعو النص قدرة القارئ المعجمية أكثر مما يلتمس قدرته النحوية المنطقية" (1).

فالجَميع يتفق حول أهمية الوصف ولزوم الحاجة إليه في النص السردية.

أو كما يقول "آدم": " فإن السرد لا يمكن أن يستغني عن حدٍ أدنى من وصف العوامل [الشخصيات] والأشياء وكذا الوصف العالم وإطار العمل... " (2).

فالبنية السردية تحتاج من القارئ قدرة منطقية الصيغة التي من خلالها سيكتشف التشكيلات التي تتركب في بنيتها العميقة والغوص فيها، غير أن نظام الوصف ينحاز على تركيزه على بعض السمات البنيوية (الشكلية والدلالية).

وتمنحه سمة الوحدة النصية ذات النظام الخاص إلا أنه يكتسب معناه وأهميته بالنسبة للنص السردية بالقدر الذي يمنحه إياه السرد.

ويؤكد "رولان بارت": " أن الجزئيات غير النافعة تبدو محتومة حتى وإن لم تكن كثيرة العدد، لأن كل محكي وعلى الأقل كل محكي غربي من النمط المتداول يتوفر على بعض منها" (3).

وفي النهاية نخلص إلى ما توصل إليه "هامون" من أن " الوصف والسرد (القصة) يعمل كل واحد منهما على تعليل الآخر على سبيل التواطؤ والتنازع على حد سواء" (4).

(1) المرجع نفسه، ص 84، 85.

(2) Adam JM: le Récit, p48.

(3) رولان بارت، وفيليب هامون وآخرون: الأدب والواقع، ص 38.

(4) فيليب هامون: في الوصف، تر: سعاد التريكي، ص 332.

الفصل الأول ————— الوصف مقارنة نظرية
فسواء كان الوصف منفصلا عن السرد أو متداخلا معه، فإن واقع النصوص يثبت أن
لا غنى لأحدهما عن الآخر.

III. بنية الوصف:

إن البحث في بنية الوصف يتطلب مجموعة من المفاهيم القاعدية التي تحدده، أولها
ما يتعلق بمفهوم النظام الوصفي"، وثانيا تحديد مفهوم "المقطع".
فيتخذ الوصف في النص السردى أشكالا مختلفة، فقد يرد مفردة أو مركبة نحويا جزئيا
موجزا، وقد يمتد فيشكل مقطعا ويقوم على مجرد التعداد (Enumération) فيتخذ شكل
القائمة أو الجرد(*) (Inventaire) (1).

لأن البحث في البنية الشكلية لوحدة نصية ومحاولة كشف طرائق الاشتغال الداخلي
لهذه الوحدة بغض النظر عن علاقتها بالوحدات النصية الأخرى، فلا يمكن هذا إذا من
خلال التعرف على بنية نصية محددة عن المستوى التشكيلي (المستوى الخطي/ مستوى
الكتابة) والمستوى الأسلوبي (أي ما يختص بنمط أسلوبي/ خطابي واحد) بمعنى البعد
المقطعي للنص(2).

ونجد محمد نجيب العمامي في حديثه عن الوصف بأنه " أسلوب كتابة وخطاب، له
بنية شكلية وطرائق اشتغال داخلي، وله أيضا بنية دلالية متباينة الصلة بسياقها السردى
والمقاصد التواصلية للواصف"(2).

1.3. مفهوم النظام الوصفي:

يرى هامون أن " كل نظام وصفي هو تصريف (تفعيل) بجداول مصغرة، وهو مجموعة
معادلات مترتبة، مقابلة بين تعيين لفظ وبين توسيع مخزون الألفاظ المتجاورة في شكل
لائحة أو المترابطة أو الملحقة في شكل نص"(3).

(*) الجرد من أقدم أشكال الوصف، وقد نشأ لدى الفرنسيين أو ما نشأ في الميدان القضائي (جرد الممتلكات أو إحصائها)

(1) محمد نجيب العمامي: في الوصف بين النظرية والإجراء، ص113.

(2) لأن النص من منظور لساني النصاني ونتاج تفاعل بعدين اثنين: البعد التشكيلي أو السيموتداولي sémontion

pradignatique بمكوناته الحجاجية والتلفظية والدلالية والإيحائية (المرجعية) والبعد المقطعي، حيث تتوقع الأصناف

النصية الخالصة (وصف، سرد، حجاج، تفسير) ينظر Adem JM petit Jeam: le texte nescryptif, p81.

(2) محمد نجيب العمامي: في الوصف بين النظرية والإجراء، ص174.

(3) فيليب هامون: في الوصفي، تر: سعاد التريكي، ص365.

الفصل الأول — الوصف مقارنة نظرية

بمعنى أن النظام الوصفي يقوم بتفعيل مجموعة معادلات وإعادة تعيينها وتوزيعها على شكل ألفاظ مترابطة فيما بينها في شكل نص جديد.

ويورد "هامون" في مقام آخر تعريف لـ "ميخائيل ريفاتير" Mekhail Rivater حيث يقول: " بأن النسق الوصفي يحدد هذا المفهوم الجديد نموذجا نصيا مضاعف الختم مضاعفة خاصة، مكونا من دوال مترابطة فيما بينها حسب بنية مدلول مركزي لمكانة ترابطاته هي نفسها من التسلسل المنطقي بحيث يمكن لدال من هذا النسق أن يصلح كتابة المجموع"⁽¹⁾.

فهذان التعريفان يتفقان ويدوران حول أن الوصف يقوم على أساس إيجاد أو ربط العلاقة بين كلمة واحدة (اسم موصوف) ومجموعة كلمات أخرى تبدو جميعها تعود إلى الكلمة الأولى أو المفردة المركبة والخاضعة لسلطتها المرجعية.

وهو ما يعبر عنه "هامون" بإمكانية اختزال المقطع الوصفي في كلمة واحدة⁽²⁾.

2.3. مفهوم المقطع (séquence description):

يقول آدم: " الوحدة النصية التي اقترح تعيينها بمفهوم مقطع "Séquence" يمكن تعريفها كبنية^(*)

المقطع يمثل حسب "جون ميشال آدم" " وحدة نصية يمكن أن تحد بصفتها بنية أي بوصفها شبكة علاقات مترابطة حجما نصيا قابلا للتجزئة إلى أقسام مترابطة فيما بينها ومرتبطة بالمجموع الذي تكونه، وبوصفها في الآن نفسه كيانا مستقلا نسبيا ومتمتعاً بتنظيم

(1) رولان بارت وآخرون: الأدب والواقع، ص76.

(2) Adem JM, petit jeam, A,IBID,p105.

(*) ينظر رشيد ابن مالك: قاموس المصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، فيفري 2000، ص197.

الفصل الأول ————— الوصف مقارنة نظرية
داخلي خاص به تشده، وبالتالي علاقة تبعية/ استقلال إلى المجموع الأكبر الذي ينتمي
إليه" (1).

ويورد "العمامي" هذا التعريف المنسوب إلى "آدم" والذي ينص على أن المقطع هو " وحدة نصية مكونة من جمل يجب عندئذ وصف بنيتها الداخلية ومكوناتها ووحدة مكونة يجب في حالة النصوص المتضمنة لعدة مقاطع وصف طرائق تسلسلها المقطعي" (2).

أي البحث عن ما يميز المقطع الوصفي من سائر المقاطع السردية والحوارية وغيرها.
فيتم إدراك المقطع أو المقطوعة " بواسطة حضور الفواصل التي تساعد على تحديد الحدود، كما تعين مقارنتها بالمقطوعة التي تتقدمها وتلحقها على إقامة انفصالات متناقضة وعلى معرفة خصائصها الشكلية أو خصائصها الدلالية المسومة (نميز في الحالة الأولى المقطوعات الوصفية، الحوارية، القصصية... وفي الحالة الثانية نميز المقطوعات "نزهة" "رقص"، "صيد" (3).

فكانت الحالة الأولى (النوع الأول) يسعى إلى تشكيل نمذجة الوحدات الخطابية أما الحالة الثانية (النوع الثاني) مثلت ملخصات تقريبية ذات طبيعة قيمة تساعد على إعطاء فكرة للخطاب المدروس.

(1) Adem J M, Elément de linpuistique, téxuelle (théorie et pratique de l'analyse téxuelle, hardaya, liépe (Belpique, 1990, p84.

(2) محمد نجيب العمامي: في الوصف بين النظرية والإجراء، ص187.

(3) رشيد بن مالك: قاموس المصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص189.

3.3. بنية الوصف الأساسية:

يقول العمامي " أن البنية الأساسية للوصف هي مفهوم ينطبق على ملفوظات وصفية تتراوح من المركب الجزئي إلى وحدات نصية، قد يبلغ حجمها لدى بعض الكتاب صفحات"(1).

وتترجم هذه البنية أشكال ورود الوصف داخل السرد_ أو النص عموماً_ والتي تتجلى كما يلي:

أ. مفردة (كلمة واحدة)

ب. مركب نحوي جزئي (مسانيد)

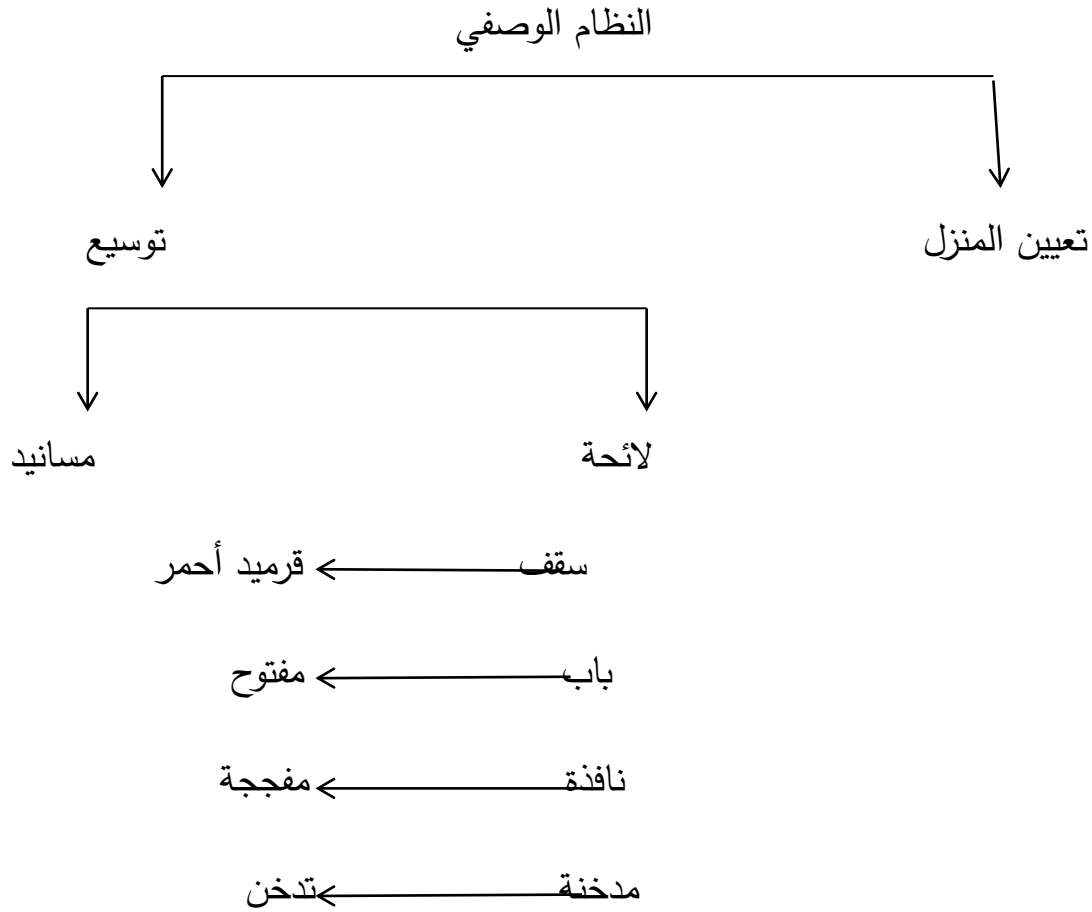
ج. في شكل تعداد (Enumération) والتي تتخذ شكل القائمة أو الجرد (ventaire)

ومن هذا المنطلق فإن البنية الأساسية للوصف توافق مفهوم النظام الوصفي، والذي ترجمه آدم في المخطط التالي(2):

(1) محمد نجيب العمامي: في الوصف بين النظرية والنص السردي، ص137.

(2) فيليب هامون: في الوصف، تر: سعاد التريكي، ص255.

الفصل الأول — الوصف مقارنة نظرية



ملاحظة:

إن الانتقال، أو عملية التحول من التسمية إلى التوسيع في النظام الوصفي، تتم وفق طرائق مخصوصة وتنظمها آليات محددة، وتسمى هذه الطرائق أو الآليات بـ "العملية الوصفية الأساسية"، "تكشف كيفية إنتاج الوصف وتقوم في نظر "آدم" و"بوتي جان" و"ريفاتير" وغيرهم دليلاً على أن للوصف بنية وحيدة موحدة"⁽¹⁾.

(1) محمد نجيب العمامي: في الوصف بين النظرية والإجراء، ص 176.

4.3. بنية الوصف المقطعية:

يقول "آدم" و"بوتي جان" " فهم نص معناه تعرف بنية مقطعية فالاحتفاظ على _ هذا الأساس_ لجميل لإنجاز تلخيص على سبيل المثال"(1).

فنقصد بالبنية المقطعية للنص، انتظامه في شكل المقطع، يتمتع باستقلال نسبي، من حيث هو بنية مخصوصة، لها تشكلها الخاص، وحضورها المميز الذي يسمح بالتعرف عليها، وفصلها عن المقاطع السردية والحوارية وغيرها.

ويميز "جون ميشال آدم" و"بوتي جان" صاحب كتاب "النص الوصفي" بين نوعين من البنى المقطعية.

أ. بنية مقطعية مكتسبة ثقافيا: وبالتالي مألوفة لدى السامع القارئ، اصطلح على تسميتها بالبنية الفوقية (super structure).

ب. بنية مقطعية وليدة مناسبتها: وبالتالي غير مألوفة لدى السامع ويشار إليها بمفهوم

تخطيط نص plan de texte

الفرق الأكبر بين البنية الفوقية وتخطيط النص يكمن حسب المؤلفين في أن الأولى مكتسبة في إطار الممارسة ومحفوظة في الذاكرة أي أنها ذات طابع عميق، في حين أن الثاني خاضع للتغيير والتبدل، أي أنه ذو طابع سطحي.

إن هذا التميز الذي أقامه "آدم" و"بوتي جان" بين ما أسماه بـ"البنية الفوقية" و"تخطيط نص" يلتبس أحيانا باعتبار أن تخطيط النص يبدو أمرا إلزاميا لأي فعل وصفي، وتتجسد هذه مثلا وفق الجهات الأربعة أو وصف الإنسان من الأعلى إلى الأسفل أو ترقيم مكونات موصوف ما... الخ

(1) Adem J M, Petit Jean, A: le texte descriptif, p92.

الفصل الأول ————— الوصف مقارنة نظرية

وهذه التخطيطات/ الشبكات، والتي يشير إليها "هامون" بمفهوم "الترسيمة" لا يمكن اعتبارها وليدة مناسبتها لأنها شبكات معروفة قديماً، حيث يقول: "إن مفهوم اللائحة المميز لكل وصف يزدوج حينئذ بمفهوم "الترسيمة" مفعول مثال وهكذا ليشعر كل وصف "مشتبك" قارؤه بأن النص يسعى إلى إشباع إطار أو مثال موجود سلفاً وملزم إلى حد ما"⁽¹⁾.

وفي الأخير نقول أن الوصف قائم في الحقيقة على تراتبية تنبثق من السمة التسلسلية/ تعاقبية للفعل الوصفي، والتي تحول الكتابة الخطية إخفاءها ويكشفه الرسم أو التمثيل التشجيري(*) للوصف.

فشجرة الوصف التي اقترحها "جون ريكاردو" فقد وافقت إقرار النقاد بتراتبية الوصف وأيضاً هي متعلقة بالروابط التي يخضع الوصف فيها إلى معايير، أما المرجع الذي يستند إليه لا يمكن تقليصه إلى نطاق معين يتجاوزه، فالوصف ينقص أو يخضع وضعيته المنطقية لأي شيء يختاره، يمكن التعرف على ثلاث أوامر: وضعية، صفاته، عناصره، الشيء الرئيسي فيها (شجرة الوصف) ينتمي إلى مجموعة واسعة تحدد وضعيته داخل هذه المجموعة مثل: أي المكان والوقت، وهذا ما يخلق عناصر ثنائية (تسمى العناصر الثانوية)

أما الشيء الرئيسي له: صفات، ألوان، أبعاد، أشكال، أعداد غالباً ما يتكون هو نفسه من مجموعة عناصر: عناصر ثنائية، داخلية، هذا ما يخلق ظاهرتين: المجاورة والاستعارة⁽²⁾.

وهذا ما يمثل الرسم أو التمثيلي التشجيري لـ"جون ريكاردو":

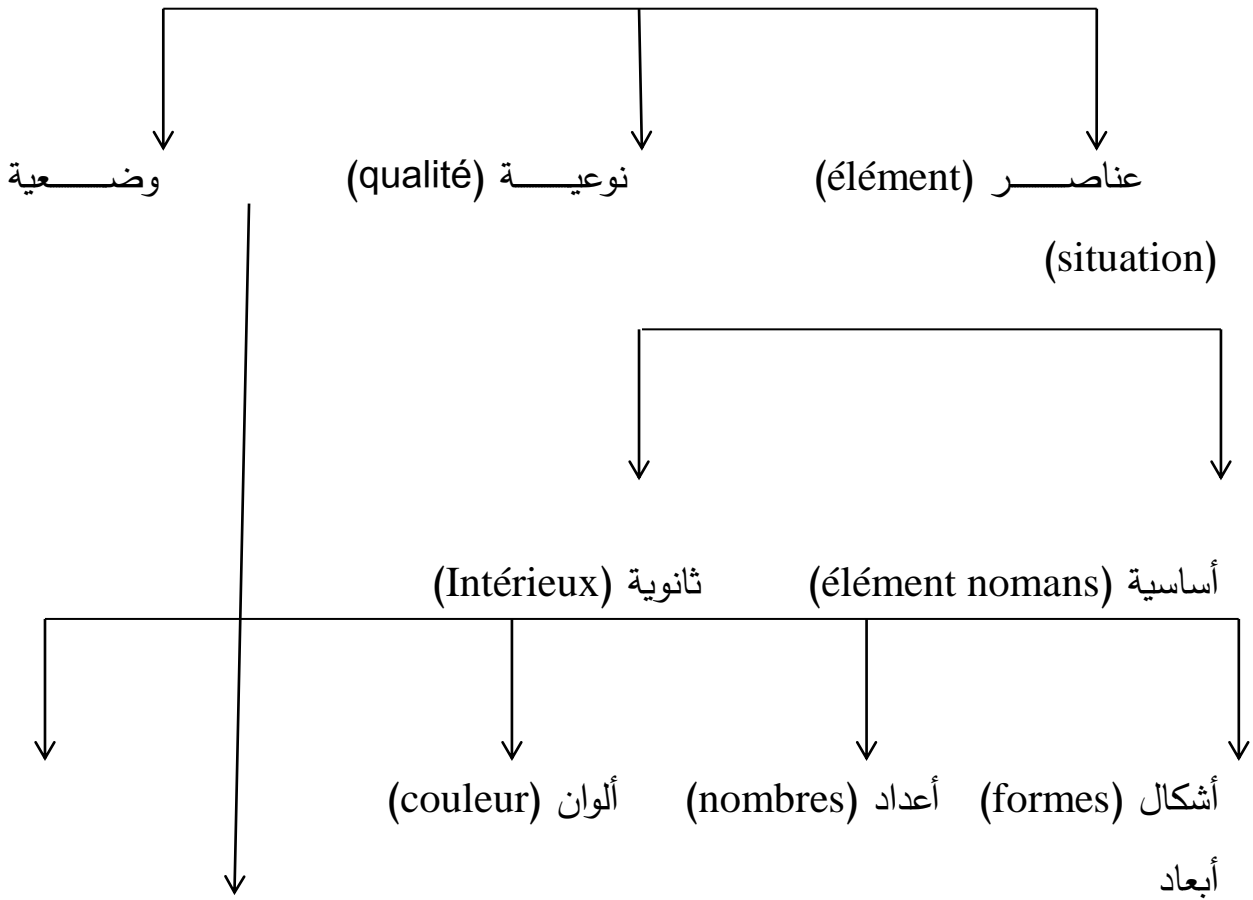
(1) فيليب هامون: في الوصفي، تر: سعاد التريكي، ص105.

(*) شجرة الوصف هي أحد المفاهيم أو الأدوات الإجرائية التي استخدمت في الكشف عن بنية الوصف الترتيبية ومستويات الوصف ومستويات الوصف، وأول من استخدم شجرة الوصف مصطلحاً ومفهوماً هو "جون ريكاردو"، فيما يقول العمامي. _ ينظر محمد نجيب العمامي : هامش (02)، ص131.

(2) Jean Ricardeau: le nouveau Roman, p24, 25.

الفصل الأول — الوصف مقارنة نظرية

الموضوع (Object)



(dimension)



(temps)

وفي الأخير يمكن القول أنه بالرغم من تنوع مكونات التخطيطات باختلاف مواقعها ضمن القطعة الوصفية، إلا أنها تظل ثابتة في مجموع الوصف.

فهي تكشف عن أمرين هما: اشتراك مخططات الوصف كلها في خاصية الترتيب والتعلق، واعتمادها على العمليات الوصفية نفسها (العناصر، الخاصيات، التأطير...)

IV. اندراج الوصف في السرد:

يعتبر الوصف ركيزة هامة في العمل الأدبي، فلا يمكن أن نتصور سرد دون وصف مع مراعاة بعض الأولويات، وهذا حسب رأي "جيرار جينات"، إذ يقول: "يجوز من الناحية المبدئية طبعاً تصور نصوص وصفية خالصة غايتها تمثيل الأشياء في حدود وجودها المكاني دون سواه، أي في غير صلة بأي حدث، وفي انفصال تام عن البعد الزمني، بل إنه من السهل تصور وصف محض خالص من كل أثر سردي، خال تماماً من البعد الوصفي، وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول أن الوصف أكثر لزوماً من السرد (...)"⁽¹⁾، لأن الوصف بلا سرد أسهل من السرد بلا وصف⁽²⁾، أي أنه لا يمكن إيجاد وصف من غير سرد ذلك لعدم ارتباطه بالزمن أما السرد فهو يحوي أحداثاً وأفعالاً، ترتبط بالضرورة بزمن معين، وعليه فاحتمال ورود الوصف بلا سرد وارد أكثر من وجود سرد دون وصف لاختلاف ارتباطهما بالزمن.

إن الوصف موجود في جل أنواع النصوص القصصية وغيرها من ملحمة، حكاية خرافية قصة قصيرة، ورواية، ويمكن أن يختل بذلك حيزاً كبيراً وهذا ما يؤكد "بارون" **Baron**: "إن الوصف موجود في كل نوع من أنواع المصنفات، ولا يكاد يوجد سبيل اجتنابه"⁽³⁾، ذلك أن الروائي يركز بالدرجة الأولى على الوصف في تمثيل الأشياء والأماكن والشخصيات، وفي هذا الصدد يقول "جون ميشال آدم": "لا يمكن أن تستغني القصص عن الوصف وإن قل ذلك لوصف ما فيها من شخصيات وأجواء وأشياء"⁽⁴⁾.

(1) جيرار جينات: حدود السرد، تر: بن عيسى بوحاملة، (ضمن طرائق التحليل السردية الأدبي)، ص75.

(2) المرجع نفسه، ص75

(3) الصادق قسومة: طرائق تحليل القصة، ص167.

(4) المرجع نفسه، ص نفسها.

الفصل الأول ————— الوصف مقارنة نظرية

ويشير "وليد نجار" إلى شكلين من الوصف، ينشآن من العلاقة بين القول والحكاية فالكاتب إما أن يجزئ الموصوف فيتناول الشيء الموصوف جزءا جزءا، وإما أن يصفه جملة واحدة باعتباره كتلة أو كيانا مستقلا من خلال عبارات متقاربة أو متباعدة⁽¹⁾.

وهناك طريقة أخرى لتبرير الوصف تتمثل في تقديمه (الوصف وهو في الحقيقة عمل من قبل الكاتب) على أنه فعل عامل من العوامل [ممثّل] (شخصية أو سارد) حسب ثلاث أنماط مختلفة⁽²⁾.

النظر (le voire)، والقول (le dire)، والفعل (le faire l'agier) وبهذا التوصيف يمكننا تتبع المواطن التي يندرج تحتها الوصف في النص السردي، وهذا حسب "فيليب هامون" حيث يقول: "ينزع النص عادة إلى موقع أوصافه في مناطقه الحساسة، حدود خارجية، إطار عام من ناحية (مستهل المؤلف وقفلاته) وحدود داخلية من ناحية أخرى، حدود أو تخلصات بين مساحات نصية مختلفة، مفاصل بين تبئيرات مختلفة بين قصص مكتنفة، بين متتاليات مختلفة، حدود الفصول فقرات أو مشاهد يقطعها الجنس مسبقا (...). وقد ينزع العرض وهو القسم البدئي لمؤلف ما في بعض العهود أو في بعض الأجناس الأدبية (...). إلى أن يتخذ شكل الوصف"⁽³⁾.

(1) وليد نجار: قضايا السرد عند نجيب محفوظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1989، ص157.

(2) Adem J M, Petit Jean A: le texte descriptif l'introduction, p41.

(3) فيليب هامون: في الوصفي، تر: سعاد التريكي، ص324.

1.4. الوصف عن طريق الرؤية:

يقول "هامون": " تتمثل أفضل السبل لتطبيع إدراج مدونة إصلاحية ما ضمن ملفوظ ما في تفويض تصريفاتها إلى شخصية تنهض بأنظارها بهذا التصريف"⁽¹⁾، وهو بهذا التعريف يشير إلى أن العين أفضل وسيلة من خلالها الوصول إلى شكل وماهية الشيء المائل أمامنا.

ويعرف "العمامي" الوصف عن طريق الرؤية: " بأنه كل وصف قناته إحدى الحواس الخمس، وفيه توكل الرؤية إلى شخصية مشاركة في الأحداث، تيسر الانتقال من السرد إلى الوصف وإيهام توقعية الموصوف والمروي"⁽²⁾.

وهكذا "يتحول نسق الأشياء والأجزاء والصفات التي تشكل الجسم متعين وصفه إلى مشهد أو منظر أو فرجة أو لوحة"⁽³⁾.

ويشترط في الشخصية الناظرة الكفاءة أو القدرة على النظر بمعنى الخلو من العيوب في قناة الرؤيا (العين)، وهنا يمكن تبرير دقة الجزئية في المشهد الطبيعي بالإشارة إلى النظر الثاقب للشخصية ومضاعفاتها لرؤيتها بأدوات بصرية (النظارات، المنظار...) [أو بأن تكون موجودة، في مكان مناسب فسعة منظر ما يمكن أن يعلل] بصعود الشخصية إلى مكان مرتفع (مشهد خادم مبرر نفسي)⁽⁴⁾.

ونستطيع تمثيل الوصف بالرؤية وفق المخطط التالي:

إبرادة النظر ← إحكام نظر ← قدرة نظر ← نظر ← الوصف⁽⁵⁾.

(1) فيليب هامون: في الوصفي، تر: سعاد التريكي، ص 124، 125.

(2) محمد نجيب العمامي: في الوصف بين النظرية والنص السردي، ص 88.

(3) المرجع نفسه، ص 334.

(4) المرجع نفسه، ص 335.

(5) المرجع نفسه، ص 334.

2.4. الوصف عن طريق القول:

خلافًا لنمط الوصف عن طريق الرؤية نجد الوصف عن طريق القول وهو النمط الغالب في النصوص السردية نظرًا لتوافقه وطبيعة السرد، حيث يعتبر "هامون": " طريقة مناسبة أخرى لتطبيع إدراج لائحة أو وصف، تمثل في تعويض تصريفها إلى الشخصية تضطلع بكلمتها بهذا التصريف، فعوض النظر إلى المشهد تتكلم الشخصية وتشرحه للآخرين"⁽¹⁾.

ويشترط لتطبيع الوصف أن " تكون الشخصية عارفة بموضوع وصفها، مالكة للمعجم المناسب قادرة على أن تستخدم منه ما يفي بالحاجة وما لا يقف حاجزًا أمام التواصل مع "السامع"، وهنا السامع يشترط أن تكون معرفته بموضوع الوصف منعدمة جدًا أو محدودة"⁽²⁾.

بمعنى " خلافا [الجسم المنظور] إليه يبدو الموضوع الذي يتعين وصفه قطعة من كلام مونولوجًا داخليًا أو حوارًا يقتضي عند ذلك أن يذكر على سبيل المثال بعض المشاعر النفسية، وبعض الشخصيات بل بعض الأماكن الخاصة كما يتطلب ذكر عناية المتكلم أو دراية لسانه رغبته في الإفضاء بالسر أو الثثرة، واهتمام المتلقي وجودة استماعه، وفضوله وانتباهه وسؤال الثاني الأول، ومقدرة المتكلم ومعرفته ومعرفة أقل من قبل السامع"⁽³⁾.

بعبارة أخرى بدل أن يكون الوصف حول شيء مادي (الموصوف) يصبح الموصوف شيئًا معنويًا كما في النفس ويشترط في ذلك كفاءة المتكلم وقدرته ورغبته في التعبير ووجود تفاوت في القدرات المعرفية بين المتكلم والسامع.

ويمكن تمثيل هذا النمط من الوصف وفق المخطط الآتي:

(1) فيليب هامون: في الوصفي، تر: سعاد التريكي، ص 353.

(2) محمد نجيب العمامي: في الوصف، ص 74.

(3) فيليب هامون: في الوصفي، تر: سعاد الريكي، ص 353، 354.

الفصل الأول ————— الوصف مقارنة نظرية

إدارة القول ← معرفة القول ← قدرة قول ← قول⁽¹⁾.

3.4. الوصف عن طريق الفعل:

كثيرا ما يؤشر على هذا الوصف بالوصف "الهومييري" الذي من سماته الحركة والنظام، ويتجلى ذلك وصفه درع أخيل (**le bonchiz d'achile**) من خلال سلسلة من الأفعال المتعاقبة التي تتطلبها عملية صنعها فتكشف الدرع الموصوف بالتدرج تبعا لعمل الحدادة، وبفضله يقول "هامون": "نحن هنا في قرار الوصف "الهومييري" ذلك الذي تعرفه كل المصنفات النظرية مجتمعة بأنه النموذج الوحيد المقبول للوصف (...)، ففي الوصف الهومييري تكون اللائحة محايدة "مطبقة" تماما وذلك باستعمال ترسيمة سردية، كذا يصبح القاموس قصة، ويتخذ الوصف عندئذ شكل سلسلة من الأفعال أو برنامج قابل التعيين سيقطع درجات متفاوتة من الاستيعاب والشمول"⁽²⁾، بمعنى آخر هو الوصف الذي يتناول فعلا ما وطريقة إنجازه أو القيام به، ويمكن تمثيل هذا الوصف وفق المخطط التالي:

إرادة فعل ← القدرة على الفعل ← مهارة في الفعل ← فعل ← وصف

(1) فيليب هامون: في الوصفي، تر: سعاد التريكي، ص353.

(2) المرجع نفسه، ص361، 362.

V. وظائف الوصف:

لقد كان منظرو الخطاب الوصفي واعين بأهمية وظائف الوصف في دراستهم له وضرورة حضوره في الخطاب السردي؛ فـ "جيرار جينات" كان منذ البداية دارسا لهذه الوظائف حيث يقول: " إن دراسة العلائق بين السرد والوصفي لا بد أن تعود في جوهرها إلى مراعاة الوظائف الحكائية للوصف، أي للمهمة التي تنهض بها الفقرات أو المظاهر الوصفية في الاقتصاد العام للسرد"⁽¹⁾.

اجتهد الباحثون في استخراج وإحصاء هذه الوظائف، فقد اختلفوا في تسميتها وعددها وتحديد المفاهيم لتلك الوظائف التي وضعوها كل واحد حسب منطلقاته الخاصة، وحسب تركيز اهتمامه والجنس الأدبي المشتغل عليه، و"جينات" يعد من الأوائل الذين وضعوا للوصف وظائف، حيث " اهتدى إلى وظيفتين حكائيتين كبيرتين هما "الوظيفة الزخرفية (والوظيفية الرمزية والتفسيرية) في الآن نفسه"⁽²⁾.

أما "فيليب هامون" فطن إلى خمسة وظائف هي وظيفة الفصل الذي تبرز مفاصل السرد ووظيفة التأجيل أو الإرجاء التي يؤديها الوصف عندما يؤخر انفراجا منتظما والوظيفة التزيينية التي تدرج الوصف في نظام جمالي بلاغي ووظيفة التنظيم (la fonction organisatrice) التي تؤمن تسلسل أحداث القصة المنطقي ووضوحها وإمكانية توقع أحداثها، وأخيرا التبئير التي يزود القارئ بفضلها بكم من المعلومات عن شخصية ما غالبا ما تكون البطل⁽³⁾.

(1) جيرار جينات: حدود السرد، تر: عيسى بوحاملة، مجلة آفاق، ص 60.

(2) نجيب العمامي: الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، ص 174.

(3) انظر: P. Hamon: qu'est-ce qu'une description?, op, cit, p484, note 46.

تعريف الوظيفة:

عرّف بروب الوظيفة بـ: " أنها العنصر الثابت الذي يستخرج من أحداث متماثلة، ومن القائمين بهذه الأحداث، الذين هم أشخاص القصة"⁽¹⁾.

والواضح من التعريف السابق، أن تحديد الوظيفة يستخلص من خلال النص المدروس ذاته، إلى هذا أشار "فيليب هامون" قائلاً: " الوظيفة أو الوظائف العامة للأنظمة الوصفية هي وظائف لا يمكن تعيينها بدقة إلا متى أعيد وضع النظام المدروس داخل السياق النصي، الذي يندرج فيه النظام المعنى بالأمر"⁽²⁾.

فالعمامي حاول أن يستوفي كل الوظائف التي يمكن أن يطلع بها الوصف في نص سردي، ولقد التمسنا في تقسيمه دقة الطرح وشمولية العرض، هذا ما جعل تقسيمه لهذه الوظائف ملماً وشاملاً.

1. الوظائف الحكائية:

1. الوظيفة التعليمية أو الإخبارية (la fonction didactique ou information)

وهي أساسية لا يمكن تجنبها مهما تكن طبيعة النص، فهي تحسم من خلال قدرة الوصف على المحاكاة السرد (Narration) والتفسير والحجاج وتيسر الفهم ويكسب الخطاب مصداقية وتتيح في الآن نفسه تميز عناصر الخطاب وتيسر التعرف إليها"⁽³⁾.

(1) نظرية الرواية: دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، السيد إبراهيم، دار قباء للطباعة والنشر، مصر، 1998، ص 17.

(2) فيليب هامون: في الوصفي، ص 240، 241.

(3) العمامي: الوصف في النص بين النظرية والإجراء، ص 180.

الفصل الأول _____ الوصف مقارنة نظرية

2. الوظيفة التمثيلية والتصويرية (la fonction représentatif):

يرى "الحبيب مونسي" أن هذه الوظيفة تكسب الوصف قيمة الوجود الضروري في صلب العمل الفني (...). بل يكون الوصف _ وهو يكتسب صفة التصويرية _ بمثابة العين التي يطل منها المتلقي على عالم النص، وهو يتحرك في الزمان والمكان⁽¹⁾.

وتقوم هذه الوظيفة على " مصادرة تقول بأنه بإمكان الكاتب المطابقة بين الكلمات والعالم أي أنه بإمكانه تمثيل العالم بواسطة اللغة"⁽²⁾.

3. الوظيفة السردية (la fonction narrative):

ويقصد بها العوامل المساهمة في بناء الوحدة القصصية والمضفية على العملية السردية حركيتها وقيمتها الفنية⁽³⁾.

وفي الغالب نجد هذه الوظيفة مرتبطة بوصف الشخصيات أو الأماكن وبذلك يجسد عرض أولي يعطي لمحة للقارئ عما سيأتي من أحداث فيما سيقراه، لهذا وجب على السارد أن تكون مقاطعة السردية تخدم النص فلا يصبح النص مجموعة شتات كما لا يمكن أن نتصور نصا خاليا من هذه المقاطع.

وهذا ما نجده على قول "جيرار جينات" بأنه: " لا وجود لفعل منزه كلي عن الصدى الوصفي لذلك نستطيع القول بأن الوصف أكثر لزوما للنص السردية، ذلك لأنه أسهل علينا أن نصف دون أن نحكي من أن نحكي دون أن نصف"⁽⁴⁾.

(1) الحبيب مونسي: شعرية المشهد في الإبداع الأدبي، ص 116.

(2) العمامي: الوصف في النص بين النظرية والإجراء، ص 188.

(3) محمد الناصر العجيمي: الخطاب الوصفي، ص 190.

(4) جيرار جينات: خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر الحلبي، منشورات الاختلاف، ط3،

2003، ص 76.

الفصل الأول ————— الوصف مقارنة نظرية
إن الوصف في العملية السردية ضرورة لا بد منها لعلاقته الوطيدة بالسرد الذي يساهم
في تطوير الأحداث وتوضيحها وتفسيرها بعيداً عن الشروحات المباشرة، وهنا تكمن أهمية
هذه الوظيفة التي تبدو في شكل أداة إيضاحية وتكميلية.

II. الوظائف الدلالية:

1. الوظيفة الإشهارية (la fonction indicille)

يشغل هذا النمط من الوظائف الجانب التخيلي للسارد، فغالبا ما يلجأ السارد إلى
استخدام خياله ليسرح به بعيداً، إلى حيث يريد أن يصل بالقارئ من مشاهد وصور يعجز
السرد الواقعي في الوصول إليها، ذلك أن " الوصف يقدم علاقة حكائية مع السياق التخيلي
أكثر مما يقيم علاقة محاكاة مع المرجع الواقعي"⁽¹⁾.

ويطلق عليها "وظائف دلالية مجموعة وظائف بعضها له علاقة بالوظائف الحكائية
ولبعضها الآخر علاقة أوثق بالخطاب وبمضامين النص السردية"⁽²⁾.

2. الوظيفة الرمزية (la fonction sémbolique)

ويقصد بها أن الوصف قابل لقراءتين، وحامل لمعاني قريبة وأخرى بعيدة خفية"⁽³⁾.

يلجأ عادة الروائي لاستعمال الرمز ليحيل القارئ على نافذة التأويل وبذلك تتعدد الدلالة
بتعدد القراء وعلى اختلافهم، إذ لا يمكن للقارئ أن يفهم النص دون التوقف عند الرموز
والدلالات لفك مغالقتها ومن ثم يصبح بإمكانه الدخول إلى عمق النص، كون هذه الرموز
هي مؤشرات وعلامات دلالية تضع القارئ أمام الخلفية الذهنية والفكرية للقارئ، لأن كل
قراءة تحيننا بالضرورة إلى السياقات التاريخية والسياسية والاجتماعية للنص، فهي مرآة

(1) Adem JM, Petit Jean A: le texte descriptif, p25, 26.

(2) العمامي: في الوصف، ص196.

(3) المرجع نفسه، ص 188.

الفصل الأول ————— الوصف مقارنة نظرية
عاكسة للواقع المعاش أو واقع يتخيله الكاتب أو يحلم أن يتحقق، يقول في ذلك "رولان بارت": "... إذا ما قرأت تحت العنوان ستدرك السبب، وكلها قراءات على قدر من الأهمية في حياتنا، إنها تضمن فيها مجتمعية أخلاقية وإيديولوجية كثيرة لا بد من الإحاطة بها من تفكير منظم، هذا التفكير هو ما ندعوه هنا على الأقل سيميولوجي"(1).

أما "جينات" فيقول: " فالصورة الجسدية وأوصاف اللباس والتأنيث تتوخى عند "بالزك" وأتباعه الواقعيين إثارة نفسية الشخوص وتبريرها"(2).

ويرى "هامون" أن "وصف ما كموقع locus Amoenus [المكان الساحر] يقوم دالا مبررا لشخصية في حالة مرح"(3).

3. الوظيفة التعبيرية (la fonction expressive):

يقصد بها " أن تغدو الذات المتلفظة هي المعنية بموضوع البلاغ، والمحمولة في أضعافه وإطلاقا أن يعبر المتلفظ عن وجدانه بمختلف مستوياته"(4).

يستقي السارد أفكاره من ثقافته الخاصة، حيث أنه ينتقي ألفاظا وتعابير تكون خاصة به كل حسب معجمه وخلفياته ومخزونه الثقافي، وهذا ما يخلق التميز والتفرد في الوصف من روائي لآخر، ويؤكد هذا العمامي فيقول: " فالوصف قائم على الاختيار، اختيار الموصوف والمنظور والمعجم، وهذا الاختيار بصمة من بصمات الذات الواصفة، وأثر من آثارها، ويؤدي المعجم دورا أساسيا في التعرف على عواطف الذات الواصفة وأحاسيسها من فرح وحزن وإعجاب واستنكار وغيرها"(5).

(1) محمد الصالح بوعمراني: سيرة المكان (في دار الباشا)، مجلة عمان، مجلة ثقافية شعرية، حزيران، 2006، العدد 132، ص33.

(2) جيرار جينات: جذور السرد، تر: بن عيسى بوحاملة، ص 60.

(3) رولان بارت، فيليب هامون وآخرون: الأدب والواقع، ص 106.

(4) محمد الناصر العجيمي: الخطاب الوصفي، ص342.

(5) محمد نجيب العمامي: في الوصفي، ص 200.

الفصل الأول _____ الوصف مقارنة نظرية
ويقصد بذلك أن الوصف على مستوى هذه الوظيفة بمثابة مرآة عاكسة للذات الواصفة،
بفرحها وحرزها وهدوئها وانفعالها... الخ

4. الوظيفة الأيديولوجية أو القيمة (la fonction idéologique)

إن تعدد التيارات الفكرية والسياسية والتاريخية والاجتماعية تأثر بشكل أو بآخر على
تعدد الاتجاهات الفكرية، كل هذا أدى إلى تكوين معتقدات فكرية واجتماعية، واقتصادية لدى
الفرد، تظهر هذه الأخيرة حسب رأي الكاتب لها لأنه " ينتقي ملامحها وسماتها ويحدد لها
موضعا معيناً من عالم المغامرة يربطها بجملته من العلاقات"(1).

يدرج الروائي إيديولوجياته في كتاباته كونه يرى أن هناك ضرورة ملحة تدعو إلى بثها
في المجتمع وتطبيقها في الواقع ليحيل إلى انتمائها وأفكارها ورؤاها بأسلوب بعيد عن التقرير
والمباشرة ليحقق بذلك موضوعيته في الطرح، ويقول في ذلك العمامي بأنها " حكما معياريا
أخلاقيا أو جماليا وتكشف بالتالي ذاتية الواصف وموقفه"(2)؛ ومن وجهة نظر "فيليب هامون"
أن الوصف: " محل تسجيل متميز في النص للغة انعكاسيته، أي لوصف من الدرجة الثانية
وصف انعكاسي، ولتعليق تقييمي، خطاب واكب، أو شرح بسيط خاصة على فعل
الشخصيات أو على قولها، أو نظورها. وهنا أيضا تكمن بالضبط النقاط الحساسة لتدوين
أيديولوجية النص"(3).

(1) صادق قسومة: طرائق تحليل القصة، ص 101.

(2) محمد نجيب العمامي: في الوصفي، ص 204.

(3) فيليب هامون: في الوصفي، تر: سعاد تريكي، ص 282.

5. الوظيفة الجمالية أو التزيينية أو الزخرفية (la fonction

:Ephétique)

تكاد هذه الوظيفة تختص في الأدب العربي "بالنصوص القديمة وبتلك التي تمت إلى التراث بصلة أو تلك التي استعارت من الشعر بعض أدواته التعبيرية مثل: عدد روايات إدوارد خراط"⁽¹⁾.

ويتميز الوصف المؤدي إلى وظيفة جمالية بغياب الوهم التصويري والتمثيلي، فالواصف لا يقرب بين الشيء الموصوف والمرجع الواقعي وإنما يباعدهما متعمدا فيكشف أنه لا ينسخ واقعا سابقا، بل يخلق باللغة وفي اللغة مرجعا جديدا.

أو كما يقول رولان بارت: " فإن هذا الوصف ليس خاضعا لأية واقعية فلا أهمية لحقيقته أو لمشابهته للواقع أيضا، ولا حرج في وضع أسود أو أشجار زيتون في أحد بلدان القطب الشمالي، فلا يهم وحده هو القيد الذي يفرضه الجنس الوصفي"⁽²⁾.

وتعد هذه الوظيفة الأقدم تاريخيا و" في القرن السادس عشر، لم يكن الوصف أبدا لوصف واقع؛ وإنما هو برهان على مهارة الواصف البلاغية، وهو دليل على معرفته للقوالب المأخوذة من الكتب"⁽³⁾.

ولقد كان نقاد الأوائل ينظرون للوصف على أنه أسلوب مستقل بذاته، وأن وظيفته زخرفية لا تتعدى أن تكون حلية للأسلوب.

وأما في معجم "ليتري" عدّ الوصف مجرد زينة، ورفض أن يكون جوهرًا للأثر الأدبي؛ حيث ما ورد ما نصه: " إن الوصف هو تزيين الخطاب ولا ينبغي أن يكون لب الأثر"⁽⁴⁾..

ولعل هذه الوظيفة تلائم الشعر أكثر من ملاءمتها للسرد؛ لأن النقاد قاسوا براعة الشاعر بقدرته على الوصف كما كان عند العرب القدامى"⁽¹⁾.

(1) العمامي: في الوصفي، ص 205.

(2) رولان بارت، فيليب هامون وآخرون: الأدب والواقع، تر: عبد الجليل الأزدي، محمد معتصم، ص 39، 40.

(3) فيليب هامون: في الوصفي، ص 22.

(4) فيليب هامون: في الوصفي، ص 30.

6. الوظيفة الإبداعية (la fonction productive gréation):

ارتبطت هذه الوظيفة في أول الأمر بالرواية الجديدة الفرنسية، التي ناهضت مناهضة شديدة تصوير الكتابة الواقعية للوصف واستخدامها له " فلم يعد الوصف في هذه الرواية أداة لنسخ العالم ولا وسيلة لنشر معرفة حوله، وصار العالم المقدم موضع شك إلى درجة أن القارئ حسب "روب غرييه"، يدرك حين ينتمي الوصف أن هذا الوصف لم يترك شيء قائما وراءه"⁽²⁾.

كان هذا التصنيف والتقسيم حسب "نجيب العمامي"، أما "جميل حمداوي" فإضافة إلى الوظيفة الجمالية والأيدولوجية والتصويرية نجد وظائف أخرى، نعتقد أن ما أضافه "جميل حمداوي" هي وظائف سردية أكثر منها وصفية وهي:

أ. الوظيفة التأطيرية:

نجد في النص السردى "يوظف الكاتب في بعض الأحيان الوصف لتأطير الأحداث وتقديم الشخصيات، فيشتغل ذلك الوصف في الرواية على أنه بمثابة ديكور أو إطار خلفي للأحداث أو على أنه عبارة عن سينوغرافيا مشهدية واقعية تأت الأحداث أو تستقبل الشخصيات، وهذه الوظيفة موجودة بكثرة في الروايات الواقعية"⁽³⁾.

وبهذا تتقاطع والوظيفة الإيهامية والتصويرية بحيث يجسد من خلالها الروائي الإطار الخارجى للحوادث.

(1) انظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: أبو القاسم بن بشر الأمدي، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1973م، جزء 1، ص402.

(2) محمد نجيب العمامي: في الوصف، ص209.

(3) جميل حمداوي: مكون الوصف في الرواية العربية، ص 74.

الفصل الأول — الوصف مقارنة نظرية

ب. وظيفة التشويق:

يعتلي عنصر التشويق مكانه في السرد الروائي، ذلك أن الكاتب يسعى إلى تحقيقه كأهم خاصية في السرد، وللوصف دور هام وكبير في تجسيد هذه الخاصية، ويبرز ذلك من خلال آراء بعض الكتاب والنقاد من بينهم "جميل حمداوي" الذي يقول: " من المعروف أنه حيث تتحقق الوقفات الوصفية في الرواية، يتحقق التشويق وجذب المستقبل وإثارة إنتباههم واستفزازه ذهنيا ودغدغة عواطفه وجدانيا وحركيا والتأثير عليه شعوريا ولا شعوريا"⁽¹⁾..

ج. وظيفة التحريك:

ينسج القاص أحداثه بطريقة فنية لتجسيد الحكمة، ذلك أن " الوصف داخل الرواية عنصر عضوي يساهم في بناء الرواية اتساقا وانسجاما، ومن هنا يساهم الوصف في تحريك الرواية ويساعد على تآزيم الأوضاع من لحظة الاستهلال حتى لحظة التتوير والاختتام"⁽²⁾، إن تتبع الأحداث في الرواية بمختلف المشاهد والوقفات الوصفية له دور أساس في تدرج الأحداث حتى تبلغ أعلى درجات التعقيد والتشبيك، وبذلك يتأجج الصراع الداخلي والخارجي بين الشخصيات ومن ثم اختيار أنسب الحلول وأحسن النهايات.

د. وظيفة توقيف الزمن:

يتوقف الكاتب أحيانا أثناء سرده وقفات وصفية تؤدي إلى إيقاف الزمان " والغرض من ذلك تشويق القارئ أولا، وإراحته نفسيته ثانيا، وتقديم معالم الرواية ثالثا، ورغبة في تأمل الذات والواقع رابعا، واسترجاء الذكريات خامسا، وهكذا يتوقف السرد المتعاقب والمتحرك ليحل محله الوصف من أجل استرجاع الأحداث والذكريات أو من أجل التأمل الشعاعي

(1) المرجع نفسه، ص 51.

(2) المرجع نفسه، ص 51.

الفصل الأول ————— الوصف مقارنة نظرية
الرومانسي أو من أجل استشراف المستقبل، أو من أجل إيراد مقاطع حلمية، أو من أجل
تصوير الشخصيات والفضاءات وأشياء والوسائل" (1).

هـ. وظيفة التزيين:

وظيفة التزيين عند العمامي هي الوظيفة الجمالية نفسها عند "جميل حمداوي"، فالتزيين
عنده عكس التقبيح، والوصف عنده يؤدي وظيفة التزيين حين يصف الروائي مشهدا أو
شخصية ما ليضفي عليها طابعا جماليا في نفس القارئ وتكون محملة " هذه الصورة
الوصفية في طياتها تعويما إيجابيا وهي تقدم تصورا تزيينيا" (2).

و. وظيفة التقبيح:

بطبيعة الحال لما نجد للوصف دور في تزيين وتحسين صورة ما في نظر المتلقي فإننا
نجد الوصف يؤدي دور التقبيح "وذلك لتشويه الموصوف والنفور منه تعرية وانتقادا وقد
يحمل الوصف المنفر في طياته إنذارا أو شئما أو نحسا أو مسخا أو إحالة عن الموت" (3).

ز. الوظيفة الوثائقية:

السرد هو تسجيل للأحداث والوقائع وللوصف دور في ذلك حين " تحمل بعض الصور
الوصفية في جوهرها إحالات توثيقية ودلالات تاريخية تسجيلية، تكون شاهدة على صدق
المعطى الموضوعي الواقعي والاجتماعي كما في هذه الصورة الوصفية ذات الوظيفة
التوثيقية (...) تساهم هذه الثورة التوثيقية التسجيلية في تقديم صورة واقعية إيهامية عن
صدى المحكي وتأكد مصداقية المتن الروائي في علاقة بالموضوع المرجعي" (4).

(1) جميل حمداوي: مكون الوصف في الرواية العربية، ص 52.

(2) المرجع نفسه، ص 53.

(3) المرجع نفسه، ص 53.

(4) جميل حمداوي: الوصف في الرواية العربية، ص 56، 57.

ح. الوظيفة الأيقونية:

نجد هذه الوظيفة بادية للعيان أثناء تأمل الرسومات المناصية داخل الرواية وهي تحيط بمجموعة من المشاهد الفصول التي قد يراد بها تفسير اللوحات السردية، وشرح بعض الأحداث المحبكة عن طريق تشكيلها فنيا وجماليا⁽¹⁾.

ط. وظيفة السخرية:

يبدل الكاتب قصار جهده من أجل التزام الموضوعية والحيادية في طرح أفكاره، إلا أنه بطريقة أخرى تظهر وجهة نظره وأسلوب تفكيره وتعامله مع المواقف المختلفة، فهو يؤدي موقفاً وهو ينفعل مع الآخر ويسخر من ذاك كل هذا من أجل انتقاد الشخصيات وتعرية الواقع أو فضح المسكوت عنه⁽²⁾.

ي. الوظيفة الانفعالية:

يلجأ القاص أحياناً إلى الوصف الداخلي والخارجي للشخصيات المفعلة للحوادث من أجل إبراز حالتها النفسية وهي " بذلك تؤدي وظيفة انفعالية تعبر عن غضب الشخصيات وترصد لنا ذوات الفاعل في صراعاتها الداخلية والخارجية وتشخيص ألمها وانفعالاتها سلباً"⁽³⁾.

فالوظيفة الانفعالية هي التي تصور الأنا في مختلف أحوالها الشعورية واللاشعورية، ورصد انفعالاتها وأحاسيسها ومشاعرها.

(1) المرجع نفسه، ص 57.

(2) المرجع نفسه، ص 58.

(3) جميل حمداوي: مكون الوصف في الرواية العربية، ص 58.

ك. الوظيفة المرجعية:

يدعم الروائي روايته من التاريخ ويستغني منها أحداثه جاعلا من التاريخ مرجعا موثوقا يمكن التدليل به مستعينا بذلك بالوصف كآلية ناجعة للاسترجاع هذه المشاهد التاريخية وهذا ما يؤيده "جميل حمداوي" حين قال: "يحمل الوصف في بعض الأحيان وظيفته المرجعية من خلال الإحالة على مجموعة من الحوادث الواقعية والموضوعية الموثقة تاريخيا (...). وهكذا الوظيفة المرجعية هي التي تركز على الموضوع تحقيقا وتوثيقا وتقوم بتمطيته وتوسيعه سردا وتصويرا ووصف"⁽¹⁾

ل. وظيفة الإيهام بالواقع:

"الوصف أداة أساسية في القصة بها يتم نقل الأعمال والأحوال، وبها يضطلع على البعد المكاني إلى جانب البعد الزمني الذي يؤديه السرد"⁽²⁾.

أي أن القاص أو السارد يعمد إلى إيهام القارئ بواقعية الأحداث، حيث يطلق العنان لذكرياته مع استدراك ذاته في عملية السرد، كشخصية فاعلة، وهذا ما نجده غالبا عند الواقعيين حين يستهلون نصوصهم بوصف مكثف يحوي تقديم تفصيلي لمكان وزمان القصة، إضافة إلى شخصياتها بهدف جذب القارئ وإيهامه بواقعية القصة، وهكذا يخدم قصته بتحويل عالم الروائي أو القاص الخيالي إلى عالم حقيقي واقعي، ذلك أن "الفن هو بمثابة شكل من أشكال الوعي الاجتماعي والنشاط الإنساني، يعكس الواقع في صورة فنية وهو أحد أهم وسائل الاستيعاب والتصوير الجمالي للعالم"⁽³⁾، بحيث تهدف بعض الصور داخل الرواية إلى إيهام بصدق الواقع من خلال تقديم فضاءات وشخصيات وأحداث واقعية وحقيقية"⁽⁴⁾، يمكن التأكد منها في الواقع وبالتالي يتوهم القارئ ليست من صنع الخيال، بل هي جزء من الواقع الحقيقي.

(1) المرجع نفسه، ص 58، 59.

(2) صادق قسومة: طرائق تحليل القصة، ص 162.

(3) رمضان الصبار: الفن والقيم الجمالية، ص 46.

(4) جميل حمداوي: مكون الوصف في الرواية العربية، ص 48.

الفصل الثاني:

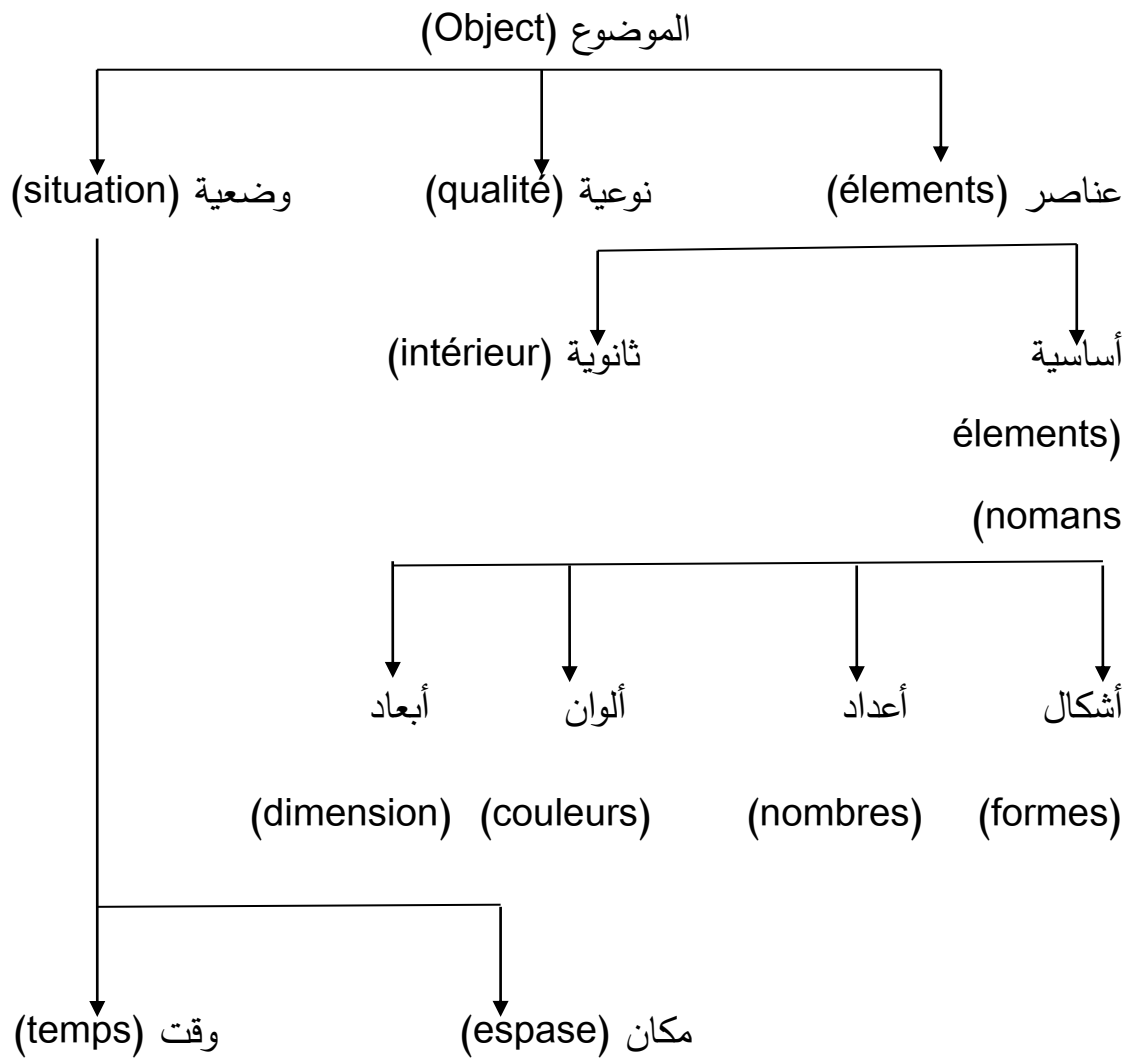
بنية الوصف في رواية

شجرة مريم

- الاندراج الوصف في السرد
- الوصف عن طريق القول
- الوصف عن طريق الرؤية
- الوصف عن طريق الفعل

بنية الوصف في " شجرة مريم "

من خلال المقاطع الوصفية في النص الروائي الذي بين أيدينا، يظهر الوصف في المتن الروائي مكثفا ومتنوعا. ومن بينها هذه المقاطع الوصفية المختلفة ما نجده في "الفصل الثاني" تحت عنوان "عطور" ومن هنا نحن بصدد تقديم هذا المخطط "لشجرة الوصف" أو بما يسمى التمثيل التشجيري (*) "لجون ريكاردو"، والذي أشرنا إليه سابقا وهو كالتالي:



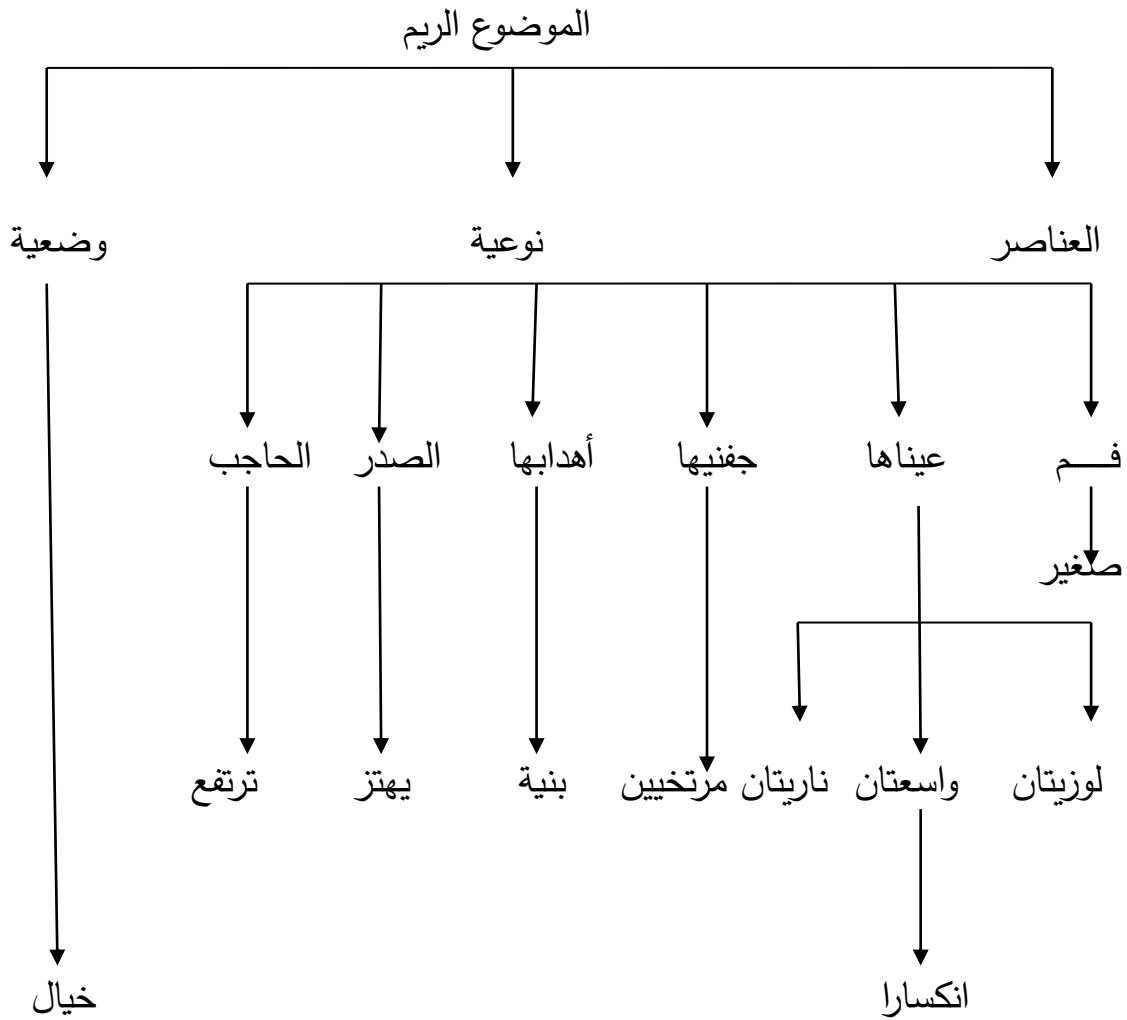
ومن خلال التمثيل التشجيري نستخرج المقاطع الوصفية في المتن الروائي والذي تجلى في "الفصل الثاني" بعنوان "عطور" والذي تدرجه الساردة الوحيدة في الرواية وهي الشخصية

(*) ينظر : 24 . 25 . le nouveau roman p . 24 . 25 . jean ricardon

الفصل الثاني _____ بنية الوصف في

رواية شجرة مريم

مريم، التي استطاعت رؤية خيال أختها "الريم" المتوفية الذي تجسدت لها صورة أختها على شكل خيال وهي موجودة في الحمام واصفة إياها فتقول: "ترتسم تقاسيمها بوضوح: فمها صغير وعيناها اللوزيتان الواسعتان اللتان تحملان انكسارا غريبا. وهي نفسها بجفنتيها المرتختين وأهدابها البنية الكثة، يرتفع حاجباها وتشرع في التحديق بي فيما يهتز صدرها عاليا. وينتفخ منخاراها كانت غاضبة لاشك، ممتلئة بالغضب رأيت ذلك في نظراتها النارية فيما ظلت تحرق بي لدقائق، حسبتها دهرًا خيل لي فيه أني فعلا مذنبه"⁽¹⁾.



نلاحظ أن شجرة الوصف تتفرع إلى عدة أجزاء وعناصر وكل عنصر من هذه

العناصر بدوره يتفرع إلى فروع .

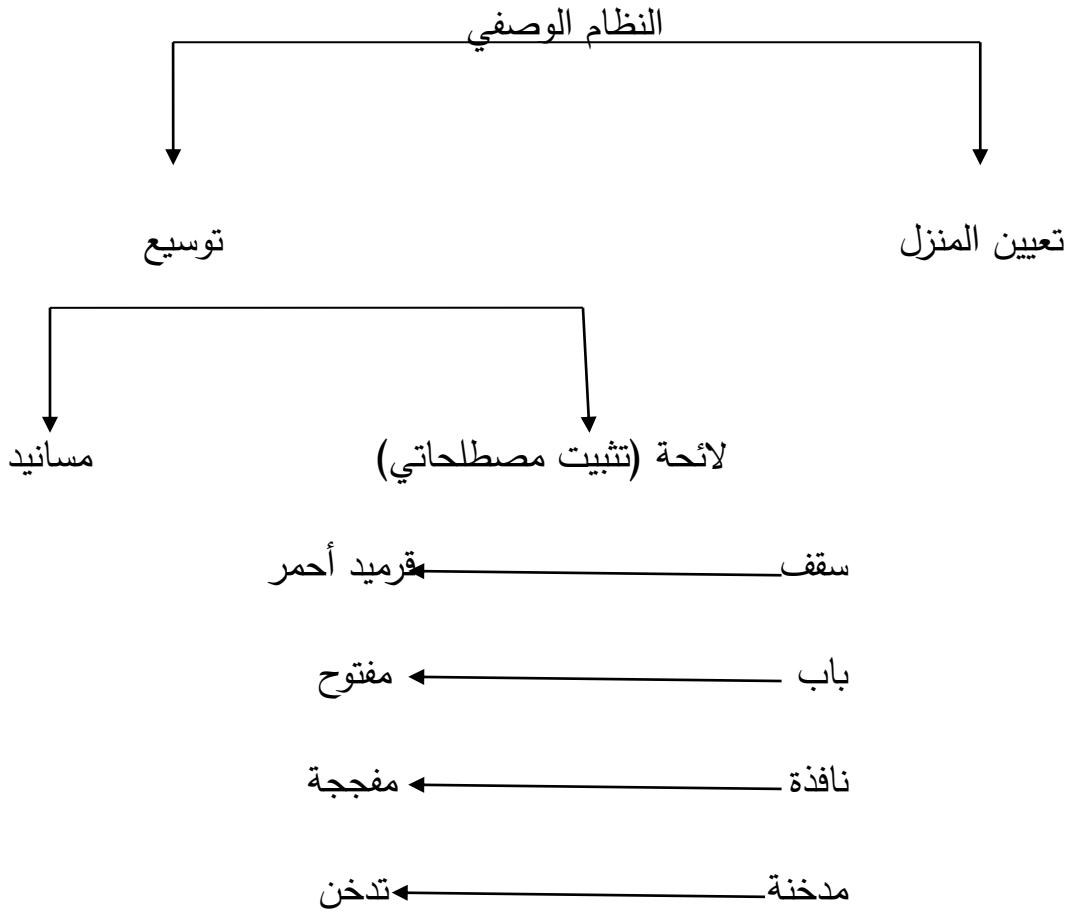
(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 71.

الفصل الثاني _____ بنية الوصف في

رواية شجرة مريم

فجاءت الخاصيات عبارة عن مفردات ولم تأت على شكل جمل (فم صغير، عيناها اللوزيتان، جفنيها المرتخيين، أهدابها البنية...) كما أن العناصر الأخرى تحتوي على أكثر من مفردة أي على شكل جمل (يرتفع حاجباها وتشرع في التحديق بي، نظراتها النارية...).

وفي موضع آخر يتجلى النظام الوصفي في المتن الروائي، ومن خلاله نحن بصدد تقديم هذا المخطط الذي يوضح لنا أن البنية الأساسية للوصف تتوافق والنظام الوصفي والذي ترجمه آدم(*)، كما أشرنا إليه سابقا وهو كالاتي:



وهذا ما نجده في هذا المقطع الوصفي الذي يندرج في "الفصل الأول" تحت عنوان "واعتدت لهن متكأ"

* ينظر: فيليب هامون: في الوصفي، تر: سعاد التركي، ص 255.

الفصل الثاني _____ بنية الوصف في

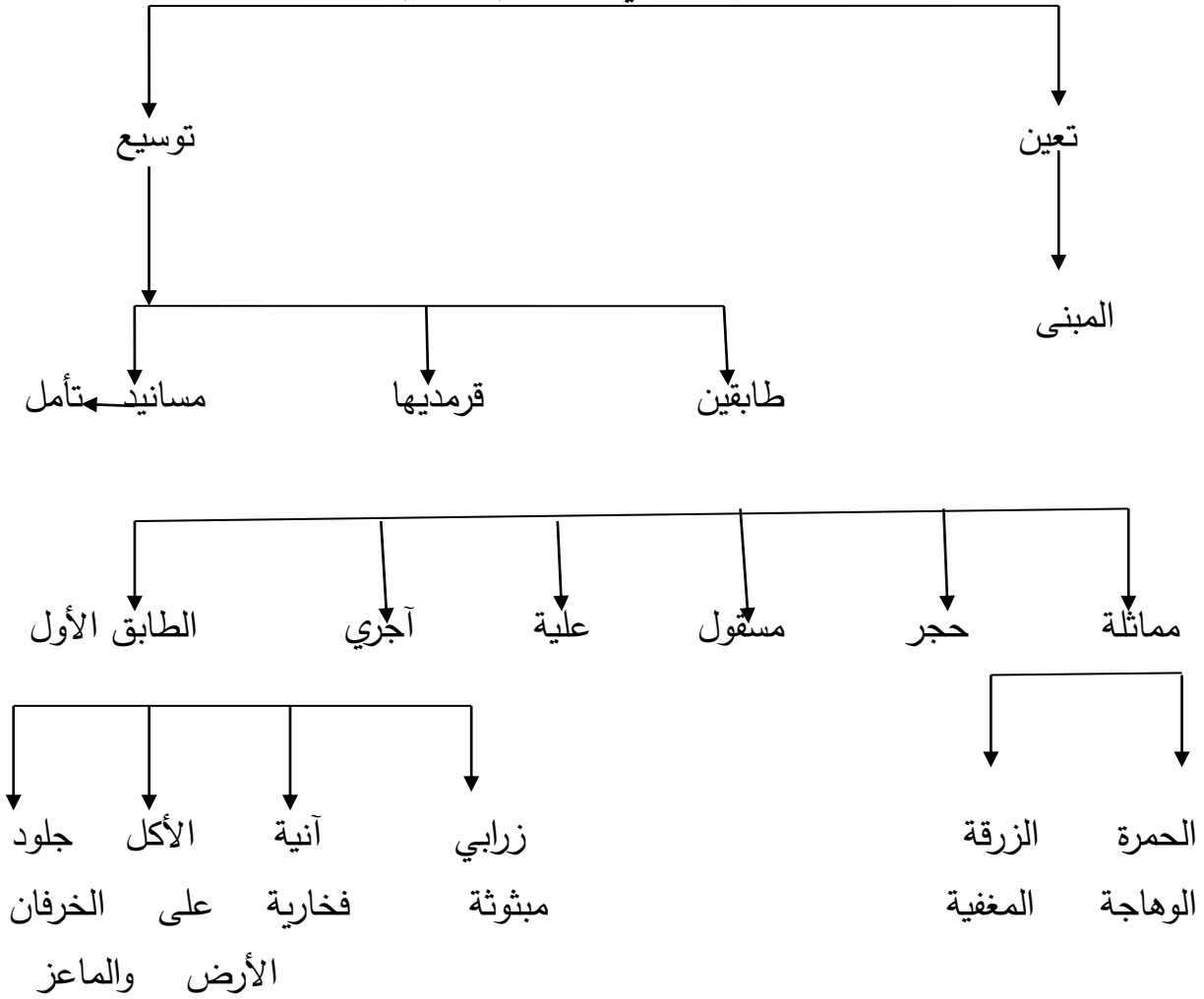
رواية شجرة مريم

فبعد خروج مريم من قريتها "كاف الحمام" توجهت إلى المدينة من أجل لقاء ابنة المحامية والتوجه إلى المطعم الذي يحمل اسم "واعدتت لهن متكأ" فهو خاص بالنساء فقط ويعد هذا المطعم المكان الجديد الذي ستعمل فيه "مريم" كطباخة، فنقلت لنا وصورت المبنى فتقول واصفة إياه: " كان المبنى متكون من طابقين من الحجر المسقول مع علية ذات قرميد آجري. كان الطابق الأرضي مجهزا بطريقة تقليدية، زراب مبنوثة من صنع يدوي أمازيغية وعربية وصحراوية، الزرقة المغفية والحمرة الوهاجة والخضرة التي تفتح شهية التذكرة، آنية فخارية، الأكل على الأرض _جلود الخرفان_ وماعز وملاعق خشبية وفناجين طينية، كسكس بالزبيب واللبن، كسكس باللحم، فوق الجدران رصت الأواني الطينية المحملة بأزهار برية صاخبة الألوان"⁽¹⁾.

ومن خلال هذا المقطع يوضح لنا المخطط التالي النظام الوصفي

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 46.

النظام الوصفي المبني (المطعم)

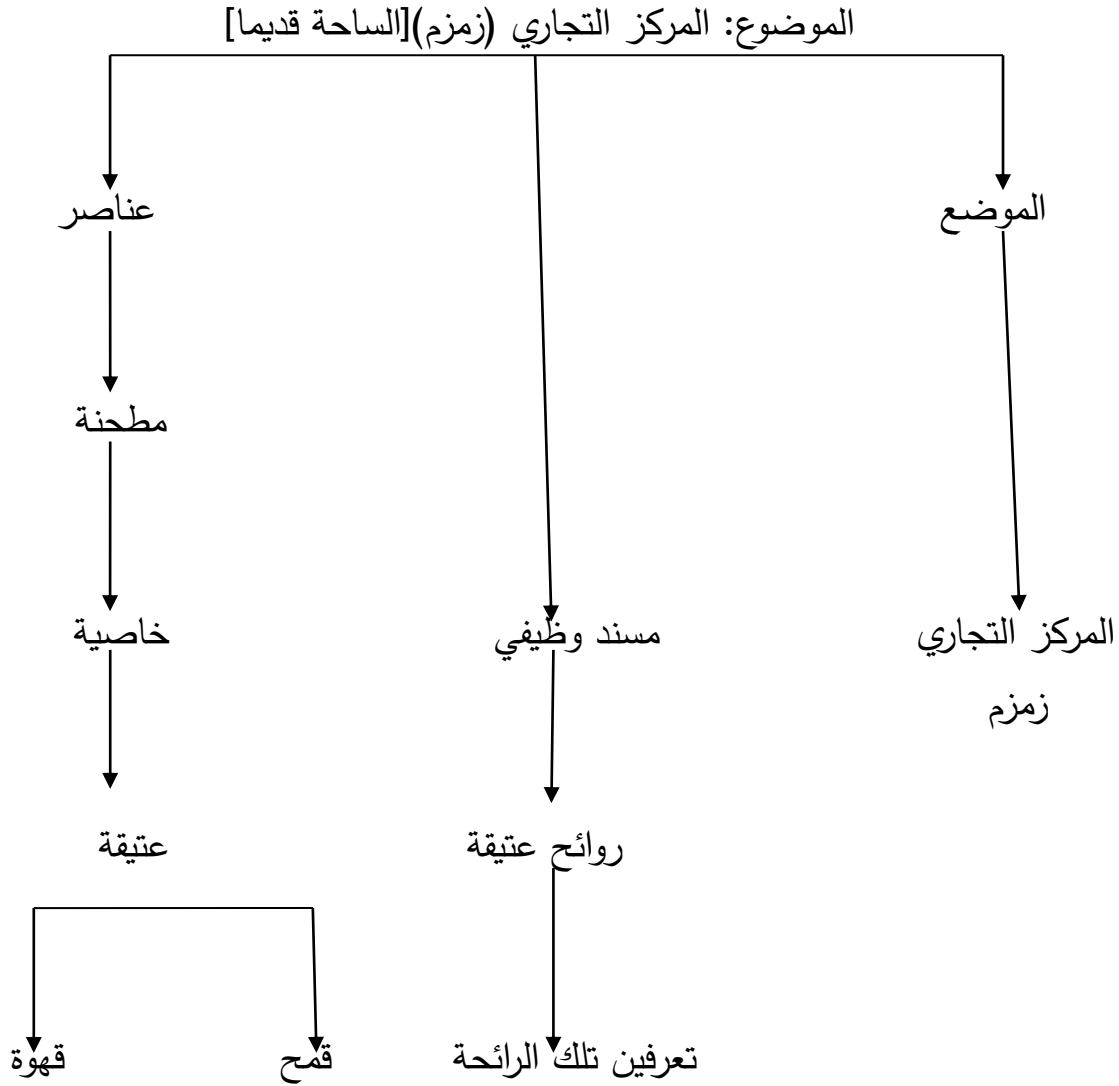


في موضع آخر من الفصل الثالث نجد نور الهدى زين في "شاه بندر التجار" تسترجع ذكريات وتتفكر المكان الذي يوجد فيه المركز التجاري، كان عبارة عن ساحة كبيرة توجد فيه مطحنة قهوة وقمح. وبدأت تتأمل المكان كأنها تراه لأول مرة فتصفه إياه قائلة: "لقد مررنا عبر المركز التجاري "زمزم" تحت ذلك المركز تذكر أنفي روائح عتيقة دفنت تحت الحديد والإسمنت المسلح والرخام ولكن الأسرار كانت تنفلت تتسرب إلى ذاكرتي: فعلت تلك المساحة الهائلة: كانت هناك مطحنة عتيقة ومطحنة قمح وحمص وعدس والبول السوداني لصنع البسيصة، وطحن المرمر تعرفين تلك الرائحة"⁽¹⁾.

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 207.

الفصل الثاني _____ بنية الوصف في

رواية شجرة مريم



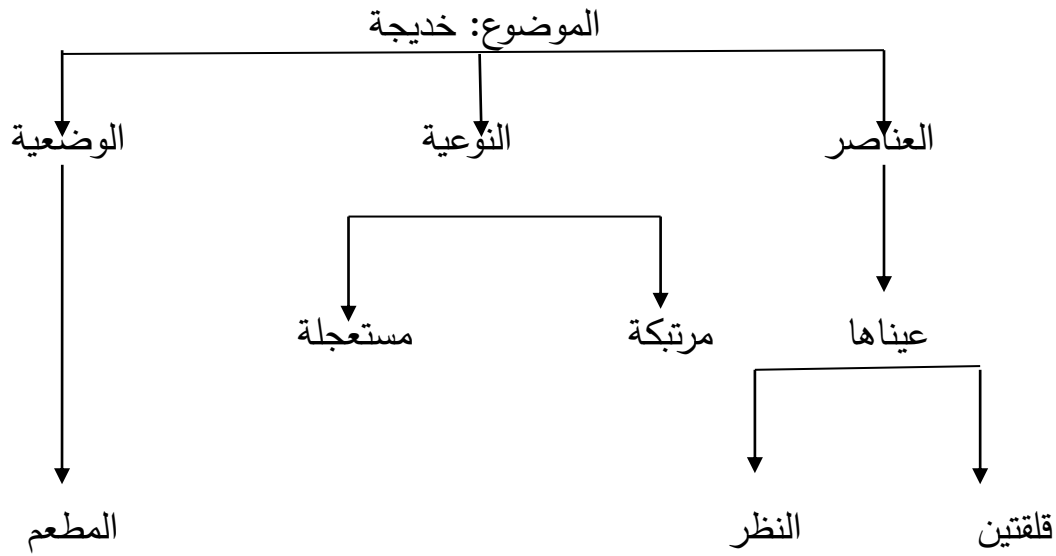
فمن خلال هذا المخطط، نلاحظ على أنه لا يحتوي على تشعبات كثيرة، بل يحتوي ويعطينا وصف أقل تدقيقاً مقارنة بالمقاطع التي سبقته.

فكانت الساحة الموجودة فيها المركز التجاري "زمزم" حسب نور الهدى الزين_ نكريات الطفولة أن المكان يوجد فيه مطحنة قمح وقهوة، وكانت تراود تلك المطحنة كل موسم للطحن وأيضاً تواجد دكاكين صغيرة للمواد الغذائية فكل الطفولة موجودة في تلك الساحة رغم أنها تغيرت كلياً.

الفصل الثاني _____ بنية الوصف في

رواية شجرة مريم

وفي موضع آخر يمثل هذا المقطع في "الفصل الثالث" تحت عنوان " 5 / الثلاثاء: أرز بالكرام " تقول مريم أن خديجة زارت المطعم يوم الثلاثاء من أجل أخذ طلبيتها لكنها كانت على غير العادة لاحظت مريم أن بها خطب ما، فنقول مريم: " كانت مستعجلة ومرتبكة وطلبت مني أن أحضر لها الطلبية لتأخذها إلى البيت بعجلة. وكانت عيناها قلقتين لا تكفان عن النظر إلى الباب وهي تزدد الطعام دون شهية كما لو كانت تملأ حفرة من تراب"(1).



رأينا في المقاطع الوصفية التي أخضعناها للتخطيط، كيف أنها تتنوع مكوناتها وكيف تختلف مواقعها حسب النص السردى، واختارنا هذه المقاطع بالتحديد لأنها تتوفر على شروط على البنية الوصفية فكل مقطع يختلف عن الآخر.

وفي الأخير يمكن القول أن رغم اختلاف وتنوع التخطيطات، إلا أنها تكشف عن أمرين: اشتراك مخططات الوصف كلها في خاصية الترتيب والتعلق وأنها تعتمد على العمليات الوصفية (العناصر، الخاصيات، التأطير...)

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 225.

الوصف عن طريق القول:

يعد الوصف عن طريق القول من أهم الانماط الوصفية الأكثر سيطرة على السرد بشكل عام، وذلك لملائمته لطبيعة الموضوع (السرد)، بل نكاد ندرج الوصف كله ضمن هذا النوع من الوصف وذلك بحضور بعض السمات التي تجعلنا نصنفه إلى وصف عن طريق القول أو عن طريق الرؤية أو عن طريق الفعل، حيث يأتي الفصل بين هذه الأنماط ضرورة منهجية ملحة، يتوجب الوقوف عند بعض السمات البنائية والبلاغية التي تميز كل نوع على حدا وكذا ما يشترك بينهما من مميزات*

نلاحظ من خلال المتن الروائي الذي بين أيدينا أن تجليات هذا الوصف جاء عن طريق الشخصية "مريم"، فهي تصف لنا الأشخاص والأمكنة على لسانها، كما نلاحظ هذا المتن الروائي الذي بين أيدينا يتجاوز الوصف التقليدي الذي يعطينا صورة عامة عن الشخص وذلك قبل البدء في سرد الأحداث، وقد أعطتنا الافتتاحية مباشرة بوصف تلك الأحداث وسردها لتعرض للشخصيات والأمكنة وتوردهم في صلب الموضوع، وهذا ما نجده في الكثير من المقاطع السردية حيث تقول: في الفصل الأول في الجزء المعنون بـ: "رحيق مالح" فقد استهلته بخطاب مريم ولالة جميلة، واصفة حالها بعد موت زوجها ياسين الذي ترك لها طفلا مريضا من ذوي الاحتياجات الخاصة، فهي تصور لنا حالتها النفسية المزرية، وأنها لم تعد تقوى على التحمل أكثر. تقول: " سأقتلع جذوري من هذا المكان، لقد سئمت طعم التراب والحجارة"⁽¹⁾، فمريم عازمة على تغيير حياتها، وهي تريد تكوين نفسها بنفسها، وذلك بتغيير مكان سكنها الذي سئمته، حيث يقوم هذا المقطع على الوصف الخارجي لحالتها، وهو وصف إجمالي ذلك لأنها لم تتعرض لإعطاء ملامحها الغاضبة وحالتها الداخلية والخارجية بالتفصيل.

* ينظر: محمد نجيب العمامي: الوصف في النص السردى بين النظرية والإجراء، ص 75.

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 24.

الفصل الثاني ————— بنية الوصف في

رواية شجرة مريم

وهذا ما نجده في مقطع آخر من الفصل الثاني حين وفاة أخت مريم، حيث تقول:
"تمددت الريم طيلة المساء ملتفة في رداء ملائكي أبيض، شجيرة الياسمين لفظت أنفاسها فأرخت أغصانها"⁽¹⁾، يقوم هذا المقطع على الوصف الخارجي لحالة الريم حين وفاتها ولفها في الكفن أين وضعوها في منتصف غرفة أمها لوداعها الأخير، حيث أنها وصفتها وصفا إجماليا ولم تعط ملامح مفصلة ولا وصف دقيق لجسد "الريم" أو لحالة وجهها، واكتفت بقول (ملتفة في رداء ملائكي أبيض) وهذه الصفة تؤكد وفاة الريم.

في الفصل الثاني المعنون تحت اسم "الخريف عصر التراب تصف لنا مريم حال أمها بعدما حجب الحقد رؤيتها، فهي لم تعد تفكر في شيء سوى الانتقام من صالح الذي أخذ منها شباب الريم وجمالها، حرم أمها من التباهي بها، حيث تقول: " قلبي كالقطران وهو يسبح داخله"⁽²⁾، فهي لألمها وحزنها الشديد فهي لم تعد تقوى على الصبر وتتوعد بالانتقام قائلة: " سأكلك يا صالح حيا أو ميتا، سأشرب دمك، سأبخر بلحمك"⁽³⁾، في هذا المقطع الوصفي بعيد عن الواقع وهو أكثر قربا للخيال، فنار الانتقام جعلتها تتوعد أنها ستشرب دمه (كما تقول)، فهذا الوصف معنوي، فهو معبر عن حالة الشخصية الشعورية ممثلة في الانتقام.

وفي الصيف عصر النار تقول مريم: " وبكيت في ذلك المساء بكيت نفسي وبكيت أمي، ذرفت الدموع على شباب الريم وموتها الغامض، بل بكيت ياسين والحميدي للمرة الأولى تطاوعني دموعي تستسلم بعد عصر من القحط كمطر صيفي مفاجئ تتحدر تتدفق وتنسكب بحرارة، أرثي القرية بأسرها بموتها وأحيائها، كلهم أموات؛ الأطفال والشباب والنساء والرجال..."⁽⁴⁾، ومن هذا المقطع نلاحظ أن الوصف بعيد عن الخيال وهو أكثر تجسيدا

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 96.

(2) المصدر نفسه، ص 85.

(3) المصدر نفسه، ص نفسها.

(4) المصدر نفسه، ص 21.

الفصل الثاني ————— بنية الوصف في

رواية شجرة مريم

للواقع، وأن سنة الحياة هي الموت لا محال، فهي أكثر واقعية لأنها تسرد لنا قضايا المجتمع بوصفها الحياة الأرملة والمستوى المعيشي للناس في الطبقة المتوسطة والفقيرة، وعن نظرة المجتمع للأطفال ذوي الإعاقة في "رحيق مالح" وتحدثها عن الطفل المونغولي، وقولها: "لو كنت أعلم أنه سيكون هكذا لتخلصت منه بأي طريقة"⁽¹⁾، وهو شعور نابع عن نظرة المجتمع الحقيرة والمترسخة لدى كل فرد وهي نتيجة الاحباط وعدم القناعة بذلك الطفل.

وتنتقل لتصف حالها وذلك بعد وفاة زوجها وتركها وحيدة تعيل أسرتها وأولادها، فتقول: "لقد نسيت، لم أخبرك ما جرى، تغيرت الأحوال بعدك كثيرا، لم أعد مريم التي تعرف التي تخليت عنها، وأفردت جناحيك نحو السماء، لكنني سأظل ألاحقك بحكاياتي، سأعود إلى اسمي الرسمي المدون في الوثائق: حدة، لأنه يحمل حقيقتي، الأنثى التي خيبت آمال أمها... تتلاحق الحوادث عبر مصفاة سرية لا تفرز سوى عصارة، هي خليط من المرارة والحموضة اللاذعة والحريفة"⁽²⁾، وهي أرملة ما قبل الأربعين، أرملة الزمان الذي لم ينصفها أرملة الحظ الذي لم يدق بابها يوما، تصف مرارة العيش بدون شريكها، وكيف أنها لن تنساه ولن تنسى ذكراه الجميلة العالقة بمخيلتها، لن تنسى الأيام التي عاشتها قربه، لن تنسى حتى لحظات سيئة طالتهم، مريم أو حدة الاسم اللائق بها أكثر (كما تقول) لن تنسى أي شيء متعلق بزوجها ياسين.

ثم تواصل وصف حياتها بعد موت زوجها والحياة التي كانت تعيشها بكل جزئياتها فتقول: "قبل الثلاثين وقعت أرملة للمرة الثانية ليس خيرا. ليس خيرا جديدا عليك. وفي الأربعين وقفت على الرصيف رفقة ثلاثة أيتام، إنهم أولادك، لا أدري إن كانوا يحتفظون بصورتك في عالمهم، غير تلك المعلقة على جدار غرفتي، يومها كنت شابا، وكنت تلبس البذلة العسكرية، الصورة الوحيدة التي تركتها تحت أعين الأطفال ليستمدوا منها القوة

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 21.

(2) المصدر نفسه، ص 21.

الفصل الثاني _____ بنية الوصف في

رواية شجرة مريم

اللازمة⁽¹⁾، في هذا المقطع تصور لنا زوجها ياسين كيف كان شكله، وما الصورة التي تركها في ذهن أطفاله، تلك الصورة المعلقة في الغرفة هي ذكراه الوحيدة.

ونحن نحاول في هذا التحليل التدرج من البسيط إلى المعقد، متتبعين أهم العمليات الوصفية المساهمة في بناء المقطع الوصفي وهيكلته، ولتكن البداية مع هذا المقطع من الفصل الثاني "عطور"، تقول مريم واصفة الحمام الذي ذهبت إليه من أجل الشفاء: " هذه أنا يا مريم البصيرة _ كما يسميها الناس _ وسأدق بابها وأغمس روحي في بخارها فقد يكون الشفاء من رائحة كفيها المعطرتين بالحناء والمسك، ومن نقرة أصابعها، ومن يدري ما يحمله نهرها الغامض وعطرها العصي، وأعشابها السحرية التي تعبت بالنفس، لهذا فالأنف حاسة خطيرة ومشاكسة ومتصلصة ولا تتوانى عن كشف الأسرار ومن خلف الأبواب"⁽²⁾، ابتداءً من المقطع الوصفي بذكر الموضوع _ العنوان (le theme) _ أو التسمية* المتمثلة في (مريم البصيرة) وتسمى هذه العملية بالترسيخ، ويعرفه "العمامي" بكونه: "استهلال المقطع الوصفي بذكر مرجعه إلى تسمية موضوعه، وهو يربط بفضلها _ هذه العملية _ الموضوع _ العنوان الذي هو اسم من أسماء اللغة بما هو ثقافي، مشترك بين الواصف والموصوف له"⁽³⁾.

ثم تباشر للتوسعة لذلك الموضوع على شكل مجموعة من الصفات (رائحة كفيها، نقرة أصابعها، أعشابها السحرية) فبنية هذا الوصف خطية، أما الأسلوب فهي حين تصف تتخلله بالتشبيهات مما يضفي على الصورة الإيضاح والعمق في التصوير، وقولها أيضا: " قالت امرأة بوجه أسمر عريض:

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص21.

(2) المصدر نفسه، ص63، 64.

* مصطلح التسمية يستخدمه هامون، أما الموضوع العنوان فنجد عند ريكاردو وآدم وبوتي جان.

(3) محمد نجيب العمامي: في الوصف بين النظرية والنظام السردى، ص116.

الفصل الثاني _____ بنية الوصف في

رواية شجرة مريم

– هل قيدت اسمك؟

– كم سندفع؟ قالت أخرى نحيفة ومزمومة الشفاه

– هل تقدم الدواء بيدها _ سألت العانس المتكومة في الزاوية_ (1).

وهي في هذا المقطع تعطي أوصافاً لعدة شخص (امرأة بوجه عريض_ أخرى نحيفة مزمومة الشفاه_ العانس المتكومة في الزاوية) فهي رسّخت للموضوع وهي (المرأة) مع ذكر خاصية من خاصياتها وهي الوجه العريض، ثم انتقلت إلى شخص أخرى وقامت بوصفهم وإدخالهم في المتن الحكائي أو في الخطاب المدرج.

وهناك حالة بتأخر فيها الموضوع (العنوان) حتى نهاية المقطع الوصفي، وتسمى هذه العملية "التعيين"، وهي عملية معاكسة للعملية الأولى (الترسيخ)، وفي هذه الحالة يصبح الوصف شبيهاً بنظام الألغاز والأحاجي على حد قول "هامون": "فحين يكون الاسم الموصوف ملحقا (...) بخاتمة النص (...) يكون النص شبيهاً للغز أو للأحجية (...) ويكون عندئذ الموصوف البدئي إعلان (الترسيخ)، والموصوف الختامي جواب (التعيين)" (2). وهذا ما نقرأه في المقطع الموالي من الربيع: عصر "الهواء": "تسترخي وتهدأ أنفاسها، ثم تفتتح عينيها على مهل، فتعيد إغماضها تحت قسوة الضوء تطرف عيناها ثم تنفتحان ببطء، وها هي تعود من البئر المهجورة، تعود نحو سطح الأرض المشبع بالشمس، كأن الحمل الثقيل انزاح عن كاهلها تواجه صورتها في المرآة بتحدٍ هذه أنا مريم" (3).

فالموضوع_العنوان_ لهذا المقطع هو "مريم" حيث أنها جاءت متأخرة عن المنظومة الوصفية التي تشكله.

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص66.

(2) فيليب هامون: في الوصفي، ت: سعاد التريكي، ص280.

(3) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص176.

الفصل الثاني _____ بنية الوصف في

رواية شجرة مريم

الوصف عن طريق الرؤية:

الوصف عن طريق الرؤية حس فيليب هامون* بأن العين أفضل وسيلة يمكن من خلالها الوصول إلى شكل وماهية الشيء المائل أمامنا.

يتجلى لنا الوصف عن طريق الرؤية في عدة مقاطع وصفية، ومن بين هذه المقاطع ما نجده في "الفصل الثاني" في الجزء المعنون بـ: "خارج الفصول" حين قامت مريم بزيارة قبر "أمها" و"الريم" ومن خلال تلك المقبرة وقفت على تلة موجودة فيها، فصورت لنا القرية كما لو كان التصوير من الأعلى: ها هي في مستوى جبل الشلخة تواجهه قمة بيضاء المرقشة وصدرة البنفسجي وأحراشه وحريجاته الفتية، وجسده المعشوب وتستلم لهبات نسيم الربيع، ثم تنحدر ببطء نحو الصخرة العملاقة المغفية في خاصرته، نحو الشعبة الكحلة التي صارت أكثر سوادا، ترمي بصرها إلى الغابة الملتقة في الوحشة والصمت. إلى جوارها ابن حسن الذي عاد كملك فضي رفيع تعلو نحو أشجار الكاليتوس والصفصاف تثبت بصرها عند شجرة الخروب الضخمة⁽¹⁾.

المقطع الوصفي هنا افتتحته بقولها "نظرت" وهي افتتاحية سردية يمكن التعرف عليها أنها على حدود الوصف عن طريق الرؤية، ومن خلاله يمكن الوصول إلى سياق عام أنها تصف مشهدا مائلا أمامها مثلا حين تقول: (قمة بيضاء مرقشة، جسده المعشوب، الصخرة العملاقة، الشعبة الكحلة... وغيرها) هنا تشير إلى أنه وصف المشاهدة، ومنه فتواجد الشخصية _مريم_ في المكان والذي هو فوق التلة ورؤية القرية والأماكن المجاورة لها سيلهمها القيام بالفعل الوصفي، فالشخصية تكشف عن المكان لأول مرة من تلك الإطلالة المتواجدة في المقبرة فهي تحاول نقل لنا الصورة التي تراها.

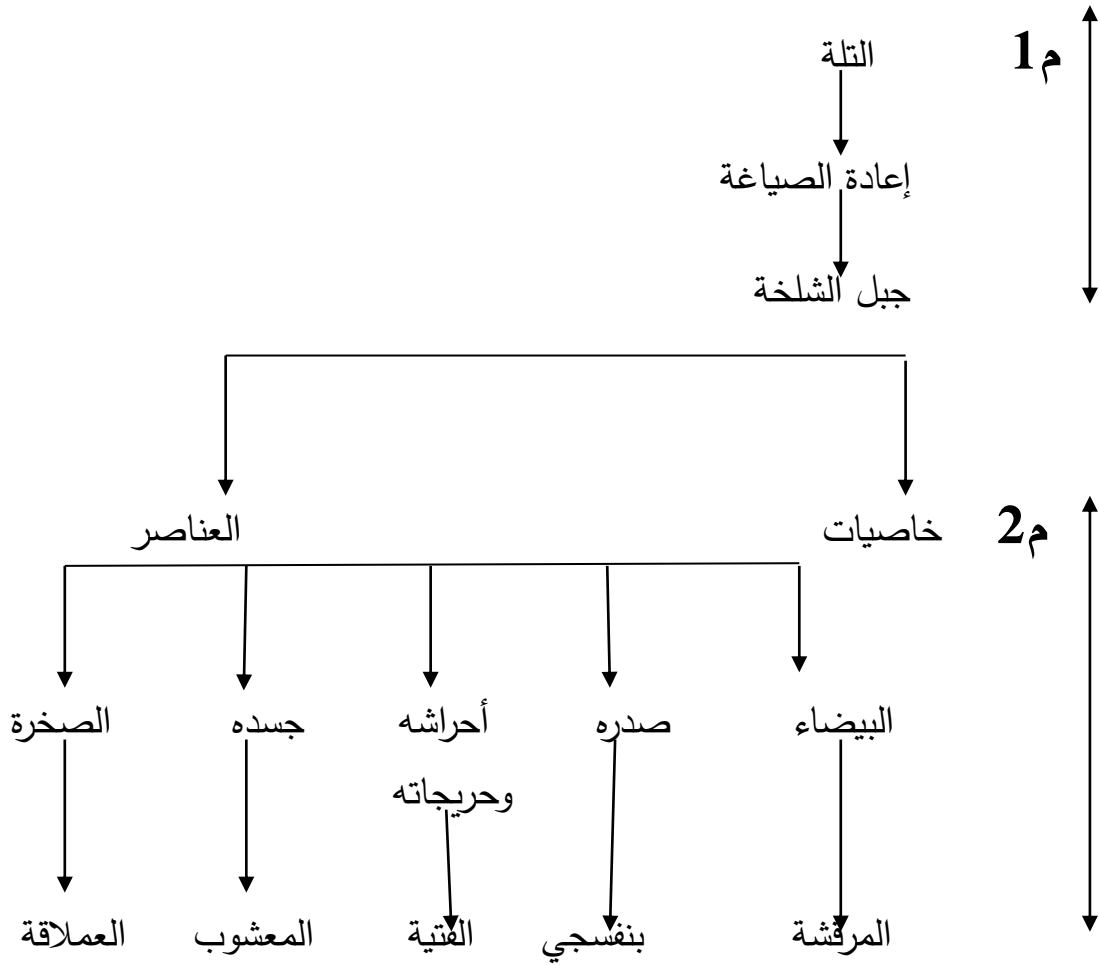
* ينظر: فيليب هامون: في الوصفي، تر: سعاد التريكي، ص 14، 125.

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 187.

الفصل الثاني ————— بنية الوصف في

رواية شجرة مريم

ونشير هنا إلى الموضوع لهذا المقطع قد ذكرته بمقطع وراءه فتقول: "كان موقع مقبرة سيدي محمد ابن أحمد" عند أعلى التلة كشرفة تطل ليس فقط على كاف الحمام وحدها بل على جبل الشلخة ذي الرأس البنفسجي والصدر المضطرب بزرقه رمالية باهتة"⁽¹⁾، فأشارت إليه من أجل فهم المقطع السابق له وعن مكان تواجده ويمكن أن نمثل هذا المقطع بشجرة الوصف الآتية:



من خلال شجرة الوصف نجد أن الوصف قائم على مستويين، وهو يشمل على عملية وصفية أساسية، وهي عملية التجزئة (عملية تحديد العناصر والخاصية)

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 189.

الفصل الثاني _____ بنية الوصف في

رواية شجرة مريم

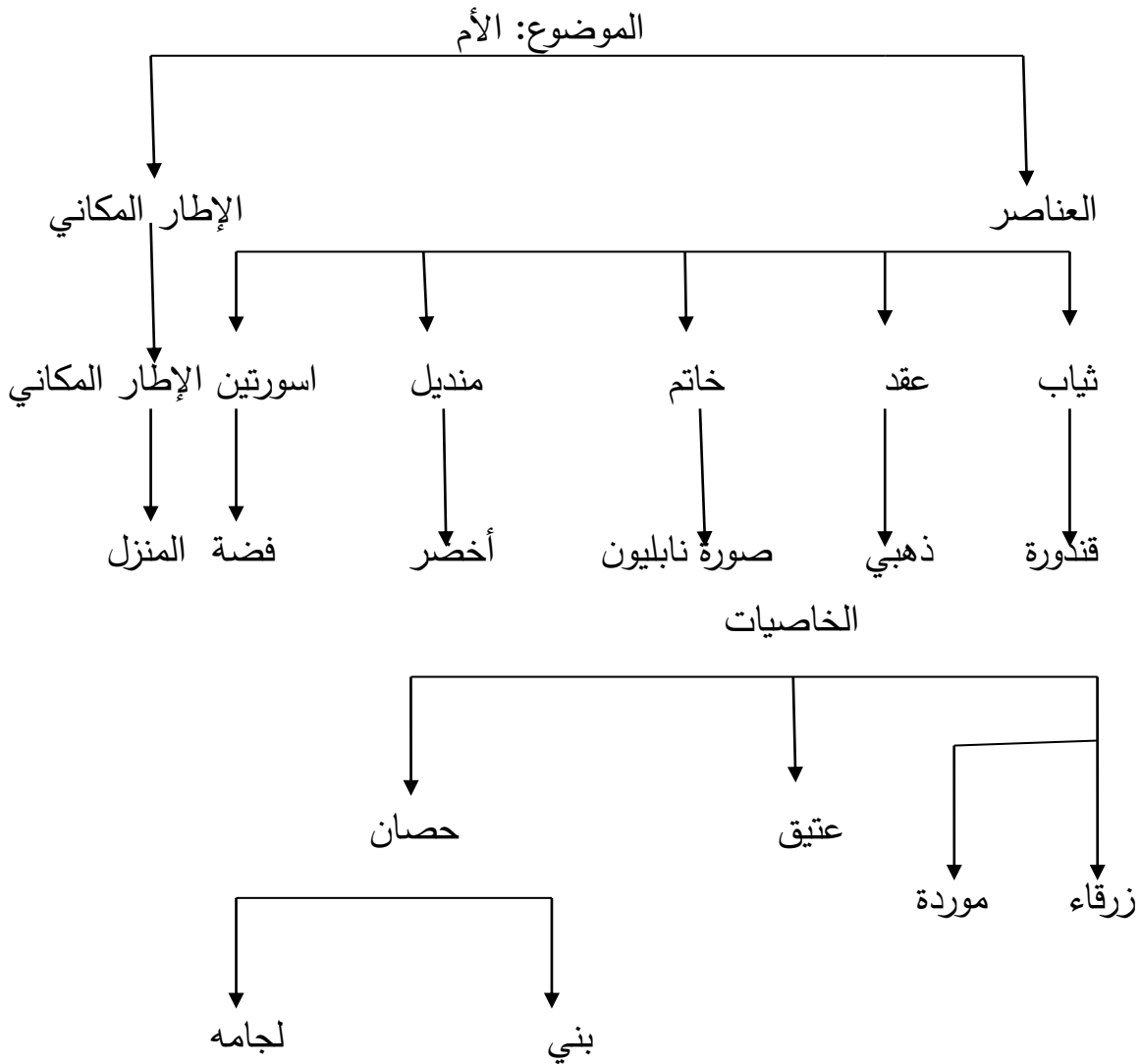
توضح إعادة الصياغة لمقطع آخر، على أن الوصف تم على مرحلتين، فالثاني أضاف شيئاً إلى الوصف الأول وهو وضع مكان تواجده بدقة الذي هو موجود مقابل قرية كان الحمام.

فالساردة هنا تبدو من الوهلة الأولى أنها ألمت بكل عناصر الموضوع إلا أن هذا الأمر يبقى انتقائي للكاتب في اختيار العناصر والخصيات لأنه لا يمكن الإلمام بوصف شامل.

وننتقل إلى مقطع وصفي آخر تصور لنا مريم صورة أمها حين قامت بلبس ثيابها وتزينت بعقد وخاتم من ذهب وأسوريتين من فضة وخمار وتجهزت من أجل استقبال الضيوف لأنها خطبة الريم فتقول واصفة إياها: " واليوم رأيت دائرة الريم تتسع وتضغط أمني تدور في مركزها... ارتدت أمني أجمل ثيابها، قندورة من الكتان زرقاء مدورة وعقد ذهبي عتيق وخاتم على وجهه صورة نابليون وأسورتين من فضة ومنديل أخضر يحمل صورة حصان بني يرتخي لجامه فوق أذنها. وقد أطلت من تحته شعيرات بيضاء رزينة جددت لونها الحناء. كانت منتشية وجميلة وعلى قدر واضح من الأناقة كما يليق بأُم العروس، بل وأطلقت زغرودات متوالية وضربت الدف على عجل لتستقبل الضيوف"⁽¹⁾.

كما أشرنا سابقاً أن الساردة تضيف مقطعا وصفيا آخر يتبعها حيث تقول رأيتها ثم تواصل الوصف لتلك اللحظات ووصف حال أمها، وهذا دليل على أن الوصف بالرؤية هنا يكون عن طريق الملاحظة فهي تورد دائما ما يشير إلى ذلك، ومنه نمثل هذا المقطع الوصفي برسم تشجيري على النحو التالي:

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 140.



شجرة الوصف تكشف هيكله المقطع الوصفي القائم على ثلاث مستويات وهو ما يتناسب مع الحيز الوصفي الذي شغله الوصف الذي ما يقارب 6 أسطر نلاحظ أن الوصف هنا قام بالتدرج والتدقيق، فهي بدأت بوصف شكل أمها وصفا مكثفا من الرأس إلى القدمين وصورت حالها.

اقتصرت الوصف على وصف خارجي لشكل الأم في المقطع الوصفي ولم تتطرق إلى الجانب الداخلي.

انتقلت الساردة في المقطع الذي يليه إلى وصف حال أمها من جديد وذلك من خلال كلام أمها معها والتعابير التي آلت إليها ونفسيتها فتقول بذلك: " وأخيرا رأيتها تخرج

الفصل الثاني ————— بنية الوصف في

رواية شجرة مريم

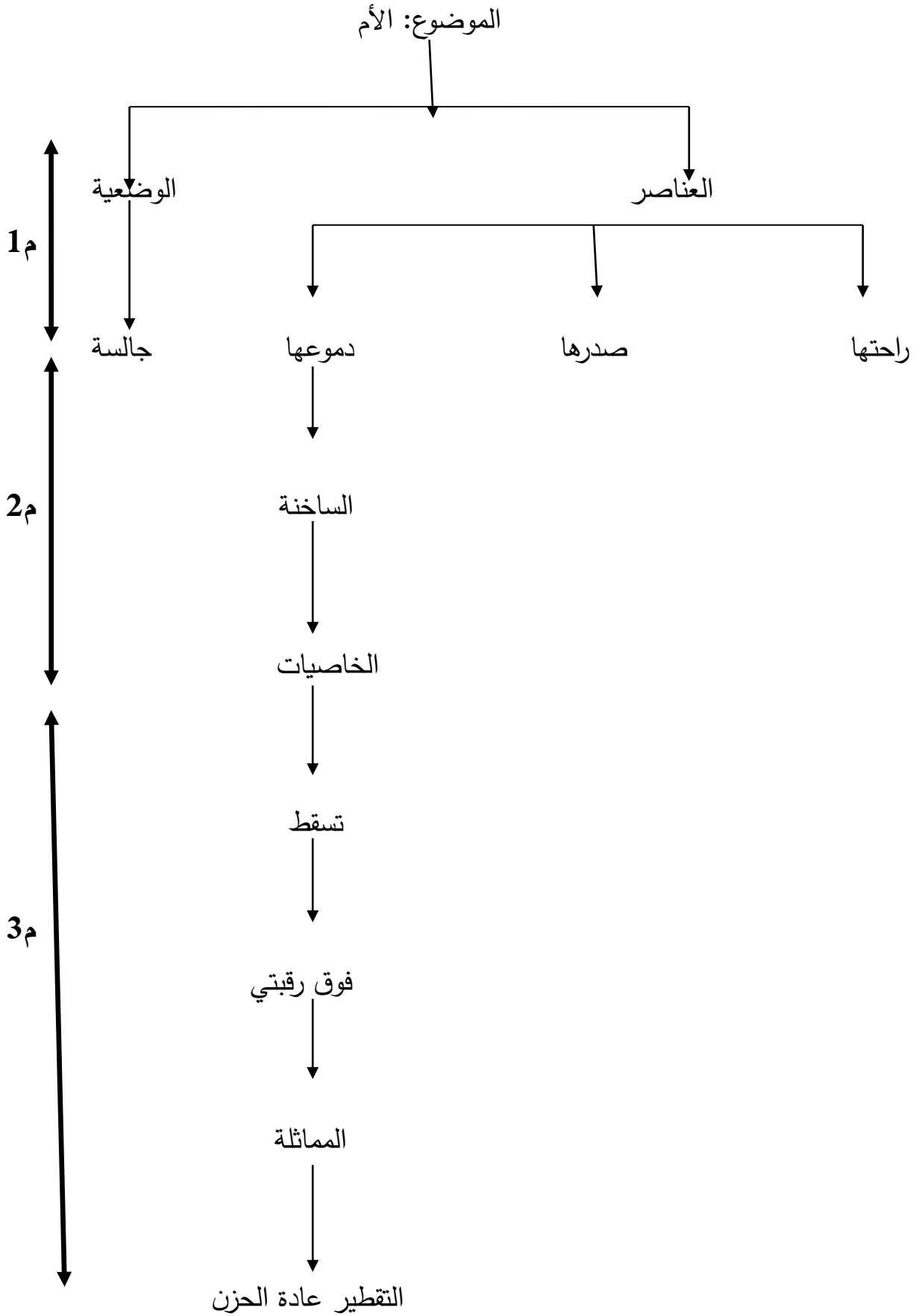
الصندوق يا مريم تعالي، أغلقي الباب خلفك واشعلي النور وحين جلست بجانبها ومددت يدي نحوها، شددت على راحتي براحتها الساخنة ثم ضمتني إليها. كانت المرة الأولى التي تتجراً فيها على ضمي دون قيود، وأن أدقت رأسي في رائحة صدرها اللذيذة وأسمع نشيجها الخافت فيها دموعها الساخنة تسقط فوق رقبتني بتأن، التقطير مادة الحزن"⁽¹⁾.

وبعدما استكملت الروائية وصف شكل أمها، وما احتوته من خاصيات تدخل في وصف الشخصية من جديد وذلك من خلال وصف حالتها الشعورية ونفسياتها وأنها لم تخرج عن الإطار العام الذي هو الأم ويمكن أن نعتبر أن هذا المقطع من الوصف هو جزء تابع للوصف في المقطع الأول، على اعتبار الأم هي الموضوع والأساس، فهي لم تفصل المقطعين عن بعضها إلا من خلال كلمة أخيراً.

وبذلك نعود إلى المقطع الوصفي، وما يلفت انتباهنا هو الاختلاف بين المقطعين، فالمقطع الأول تصوير خارجي للأم، أما المقطع الثاني تصوير داخلي، مع بداية المقطع الأول ذكرت اسم الشخصية (إذن هي الأم) ثم في المقطع الثاني أشارت إليها فقط فهي تفهم من ضياع الكلام ثم في المقطع الثاني أشارت إليها فقط فهي تفهم من ضياع الكلام ثم تشرع في الوصف وأشارت إلى أنه وصف بالرؤية كقولها (رأيتها) وهذا ما يشترك فيه المقطع مع المقاطع السابقة في الوصف بالرؤية ويمكن أن نجسد المقطع الوصفي برسم شجرة الوصف على النحو التالي:

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 140.

الفصل الثاني ————— بنية الوصف في
رواية شجرة مريم



الفصل الثاني _____ بنية الوصف في

رواية شجرة مريم

جاء الوصف وفق ثلاث مستويات (1، 2، 3)

اعتمدت الساردة في تسريع أسلوب النعت وأجزائه من (عناصر وخصائصها)، (راحتها، صدرها، نشيجها، دموعها، المظهر الخارجي) وما نلاحظه أن الخصائص ذكرت عنصر فقط كقولها: (دموعها الساخنة تسقط فوق رقبتني بتأن، التقطير عادة الحزن) فهي في دلالتها تحمل معاني نفسية أكثر من ظاهرية.

ركزت في الوصف على الجانب النفسي (العميق)، واكتفت بالجانب السطحي فقط حول الصندوق الأخضر الداكن دون التوسع.

الروائية لم تدرج في وصفها من المجمل إلى التفصيل، بل تباشر بذكر العناصر أي أنها اعتمدت على التفصيل والتدقيق من الوهلة الأولى.

ونلاحظ أن الوصف عندها كان دقيقا في إعطاء التفاصيل.

وتختلف عملية الوصف من كاتب إلى آخر ويعود ذلك إلى حسب الرغبة وعملية انتقائية للأوصاف.

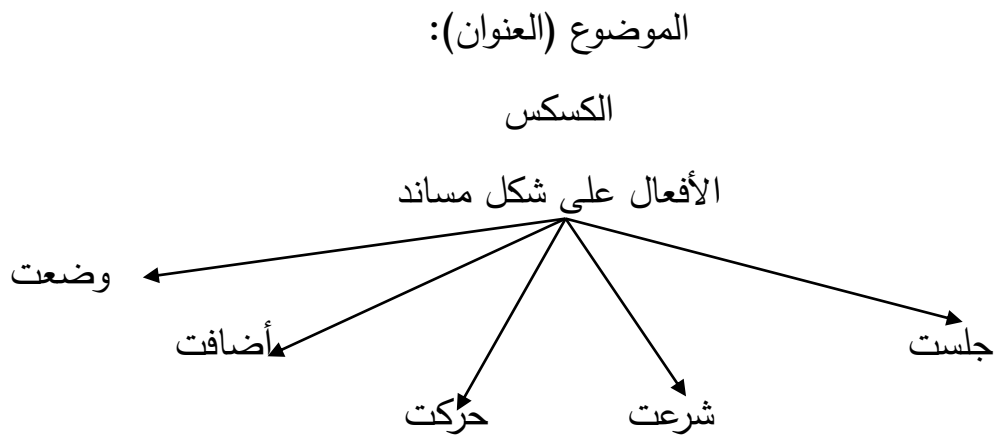
الوصف عن طريق الفعل:

يعد الوصف عن طريق الفعل من أشهر المخططات _ كما ذكرنا في الفصل النظري _ وصف الشخصية وهي تعمل، فنقرأ في الفصل الأخير من الجمعة: فلفل أسود قولها واصفة كيف شرعت في تحضير الكسكس، تقول: " جلست إلى الطاولة وشرعت في تقطيع الخضار: الطماطم والجزر والقرع والفول والخرشوف من جديد حركت القدر فأضافت الطماطم... ووضعت نصيباً من الحمص المنقوع.

الكسكس:

اندقت الحبيبات الرقيقة الملساء بين أصابعها، فدعتها بلطف، أضافت القليل من الماء وقلبت الحبات الرفيعة"⁽¹⁾، فمريم هنا تصف عملها وهي تقوم بطهي الكسكس مستخدمة في ذلك الأفعال النحوية لتتخللها بنص الجمل الوصفية ضمه الموضوع، وهذه الأفعال هي (جلست، شرعت، حركت، أضافت، وضعت) أما الأفعال (اندقت، دععتها، أضافت، قلبت) فهي أفعال تخص الموضوع الفرعي الذي أقدمته الروائية واصفة حبات الكسكس لتتعمق في الوصف أكثر.

وعليه سنمثل لهذا الوصف بالمخطط الآتي:

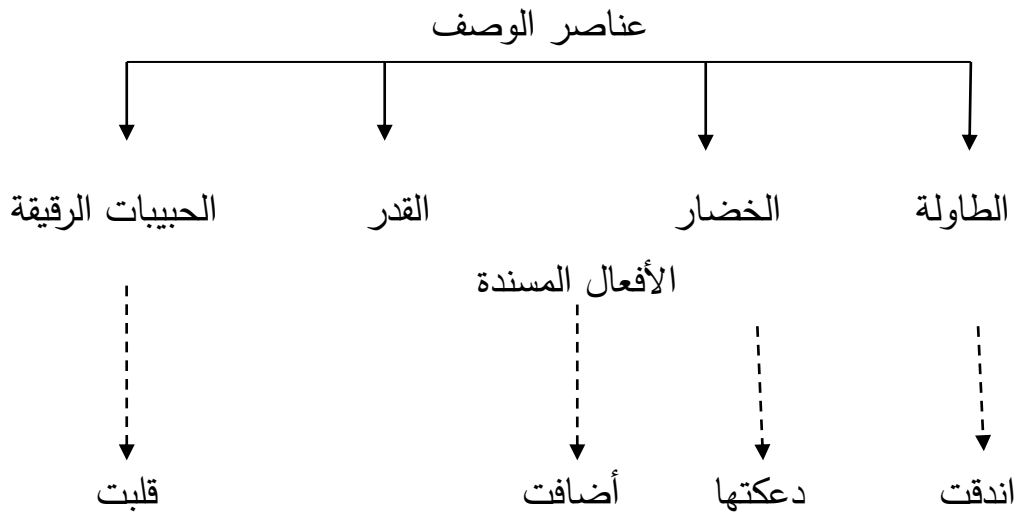


(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص212.

الفصل الثاني _____ بنية الوصف في

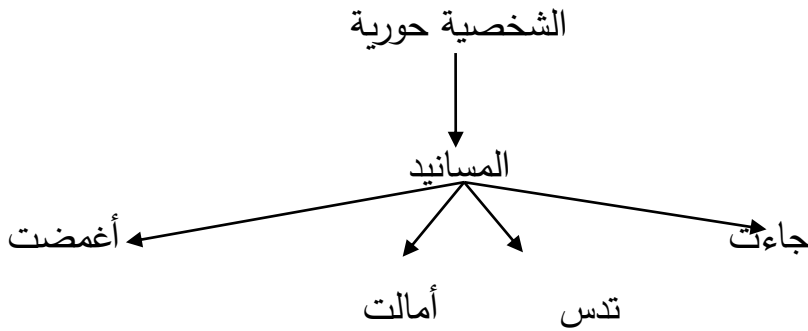
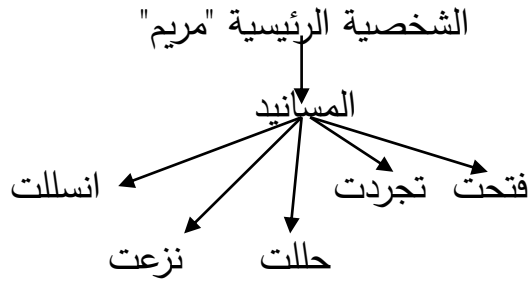
رواية شجرة مريم

ولهذا تكشف شجرة الوصف أن عملية تحديد المظاهر في مثل هذا الوصف تقوم على تفريع العمل الرئيس (تحضير الكسكس) إلى مراحل الجزئية، مع العلم أن هذا المخطط لا يكشف لنا الموضوع الفرعي للوصف، والأفعال التي أسندت له ذلك أننا ركزنا هنا على الأفعال الواصفة المتعلقة بالموضوع الرئيس ولم نشر بالتفصيل إلى الموضوع الفرعي، وإذا أردنا أن نشير إليه بمخطط فيكون كالتالي:



في مقطع آخر من حالات الوصف عن طريق الفعل من "عطور" والذي وصفت نفسها حين دخولها الحمام وكيف تجهزت له، وكذا وصفها لشخصية أخرى ألا وهي "حورية" امرأة تعمل في الحمام، قائلة: "فتحت أزراري وتجردت من خماري وحللت شعري من شرائطه ونزعت جواربي _ كما تقتضيه عادات حمام مريم_ وانسلت داخل الحلقة الواسعة كقطرة ماء في البحر (...). وجاءت حورية بقهوتها وصحن من التمر وضحكت وهي تدس القطع النقدية في جيب مئزرها وأمالت رأسها وأغمضت عينيها"⁽¹⁾، من خلال هذا المقطع نلاحظ أن هناك قسمين من الوصف، ذلك أنه أفعال الوصف في هذا المقطع بعضها مسند إلى شخصية "حورية" والبعض الآخر مسند إلى الشخصية الرئيسية "مريم"، ويمكن أن نوضح ذلك من خلال المخطط التالي:

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص66.



من خلال هذين المخططين حيث تتجز كل شخصية مجموعة من الأفعال والتي لا تقضي إلى نتيجة معينة سوى أنها تساهم في توسعة السرد وتوضيح سير الأحداث وتطورها فهي تخرج بهذا عن الهدف الأسمى المرجو من العملية الوصفية عن طريق الفعل والتي عادة نجدها مجموعة أفعال (مسانيد) تجتمع لتقضي في النهاية إلى إنجاز فعل معين يندرج عبر مجموعة من الأفعال، فالأفعال المسندة إلى الشخصية الرئيسية مريم هي (فتحت تجردت، حلت، نزعت، انسلت) أما الأفعال المسندة إلى شخصية حورية هي (جاءت تدس، أمالت أغمضت) وهي أفعال مضارعة تارة أخرى وذلك حسب متطلبات السرد.

ونقرأ في "الخريف: عصر التراب" حين قامت مريم وأمها ونساء "كاف الحمام" بحمل جثة الريم والذهاب بها إلى المقبرة من أجل دفنها تكريماً لجثتها والصلاة عليها للآن رجال القرية لم يأبهوا لدفنها. فنقول: "صعدنا التلة أمي وأنا و أختي كريمة والخونية فطيمة والأرملتان الشابتان مليكة وخديجة والعانس زهية و المطلقات فوزية وكريمة وصباح، وطالبات الجامعة أحلام ونسيمة وسعاد. صرخت أمي في بعض الأطفال الذين حاولوا اتباعنا، كلبنا مرجان أيضا أراد لكن صرخة أمي جعلته يطأ رأسه بخجل ويضع ذيله بين

الفصل الثاني _____ بنية الوصف في

رواية شجرة مريم

رجليه. حملنا الجسد المسجى بكل ما أوتينا من القوة والصبر، كانت أمي قوية ، ولكن الغضب والفجيرة قدما لها أضعافا من قوتها،... واندفعنا نحو الأعلى مخترقين الهواء الساخن... وعندما بلغنا التربة البيضاء عند أعلى الرابية... وضعناها هناك باستقبال القبلة، ولفنا الظلام ونحن نصلي"⁽¹⁾

وما نلاحظه أنه في المقاطع السابقة في الوصف بالفعل يغلب على المقطع استخدام الأفعال بصيغة الماضي وهذا ما يتناسب مع طبيعة السرد.

ونعود للحديث عن المقطع الذي بين أيدينا نجد أنه لا يختلف عن المقاطع السابقة فجاءت الافعال بصيغة الماضي (صعدنا ، صرخت، حملنا، اندفعنا، وضعنا).

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص75، 76.

الفصل الثالث: وظائف الوصف في رواية شجرة مريم

أولاً: الوظائف الحكائية

- الوظيفة الإخبارية
- الوظيفة التصويرية
- الوظيفة السردية

ثانياً: الوظائف الدلالية

- الوظيفة الإشهارية
- الوظيفة الرمزية
- الوظيفة التعبيرية
- الوظيفة الانفعالية
- وظيفة التشويق
- الوظيفة التوثيقية
- وظيفة الحكمة

وظائف الوصف في رواية شجرة مريم:

إن وظائف الوصف مختلفة باختلاف طبيعتها فكل وظيفة تتميز عن الأخرى حسب الدور الذي تؤديه فمثلا: السرد هو " تتابع به أعمال المغامرة أساسا، أما بالنسبة للوصف فهو يضطلع عادة بإبلاغ معرفة ما، وهذه المعرفة يمكن أن تكون واردة عن طريق الراوي (وموجه هنا إلى المروي له)، ويمكن أن ترد عن طريق شخصية تريد لها إبلاغ شخصية أخرى معرفة ما متصلة بعالم المغامرة" (1)

وظائف الوصف قد عرفها السرد منذ القدم فأينما نجد ظاهرة الوصف فلا محالة تتبعها الوظائف وهو متى "أدركت وظيفته ، كان دليلا على وحدة القصيدة القديمة وتكامل مكوناتها". (2)

نحن هنا بصدد دراسة هذه الوظائف في مجال السرد الروائي وليس القصيدة القديمة.

إن هذا الضرب من الوصف "يميز القصة عن سواها، وهذا ما يعرف بوظيفة التحديد، وهذا يكون من خلال جمالية الإيحاءات تخترق الخطاب وتلوح من بعض سمات الموصوفات" (3).

تعددت الوظائف الوصفية في الرواية، فاختلقت باختلاف مقاطع الوصف، وتنقسم هذه الوظائف إلى قسمين: وظائف حكاية ودلالية.

(1) الصادق قسومة : طرائق تحليل القصة، ص 203 .

(2) مبروك المناعي : الوصف في شعر المتنبى، في أنماط النصوص الأبنية الفنية والتأويل ،المطاع الموحدة مجموعة سراس للنشر ، تونس ، 2001، ص40.

(3) الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، ص 206.

في رواية شجرة مريم
أولا/ الوظائف الحكائية:

1.1. الوظيفة الإخبارية (التعليمية):

تعتبر هذه الوظيفة من الوظائف الرئيسية في وظائف الوصف وذلك للدور المهم الذي تؤديه داخل العمل الروائي فيمكن دور هذه الوظيفة في تقديم معارف ومعلومات فهي لازمة لمتابعة السرد⁽¹⁾.

ويمكن أن نجد بعض الأجزاء من الوصف التي تأخذ هذا البعد التعليمي، ويتجلى الأول في " أنثى العنكبوت" قولها: " يوم 12 جانفي 1976 هو تاريخ مولدي، لا تحتاج طبعا لأذكرك بهذا، كما لا أحتاج لتذكركني أن يوم 12 جانفي 2011 هو تاريخ رحيلك، أو بالأحرى قتلك _ كما تقول المحامية _ نقطة التماس بين الليل والنهار، لالة جميلة ما زالت تحت تخدير الصدمة. أما أنا فأنهيت المسألة منذ الأسبوع الأول"⁽²⁾.

يشتغل الوصف داخل النص السردى على نقل وتثبيت المعارف والحقائق ذات الطابع التاريخي، وهو ما نقف عليه في هذا المقطع الذي بين أيدينا، فهو تناقل معلومات حول تاريخ ميلاد مريم والذي صادف يوم وفاة زوجها وما أسوء من صدفة.

وفي مقطع آخر " هجرة طير" تقول " الذين كانوا يعرفون مريم قبل اليوم سيجدون حتما صعوبة كبيرة في اكتشاف ما آلت إليه الملامح السابقة، لقد صارت بدينة بعض الشيء وتلاشى طولها الذي كان يتناسب مع رفعة جسدها، وهذا طبيعي إنها ذرية ما بعد

(1) الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، ص 207.

(2) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 17.

الفصل الثالث ————— وظائف الوصف

في رواية شجرة مريم

الأربعين"⁽¹⁾، حيث تخبرنا مريم عن حالها بين الماضي والحاضر وكيف أن الزمن غيرها قلبا وقالبا.

وفي موضع آخر تقول: " منذ قرن ونصف عاشت سلالتنا المباركة في قرية 'كاف الحمام'، فالحق أن هذه السلالة انتقلت تحت ظروف الاحتلال _ عند انهزام جيش "أحمد باي" وسقوط عاصمة بايلك الشرق قسنطينة سنة 1837 _ بعدها جاء دور المدن الأخرى التي راحت تتساقط مثل الذباب على الرغم من المقاومة الشرسة التي أبدتها أهلها، لكن زمنا آخر كان يولد ولو بطريقة قيصرية. وهكذا وقعت المدينة الساحلية جيجل في المصيدة نفسها بعد ذلك"⁽²⁾، وهنا نجد أن الروائية تقدم لنا حقائق تاريخية بحتة حول هذه القرية (كاف الحمام) وعن انتقالهم من ولاية إلى أخرى وذلك بسبب الظروف الاستعمارية آنذاك.

وتخبرنا مريم عن جدها "العربي" فتقول: " مسكين جدنا العربي أكبر معمر بالقرية من مواليد 1914 شارك في الحرب العالمية الثانية وفي حرب "لاندوشين" (الفيتنام _ الهند الصينية)، هذا الذي أخطأته الطائرات، قضى عليه الاسهال جراء الدلاع الساخن"⁽³⁾، وهنا نجد أنها تعلمنا عن أحوال ونضال جدها ومشاركته في الحرب وما خلفته.

(1) المصدر نفسه، ص31.

(2) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص31، 32.

(3) المصدر نفسه، ص 149.

2.1. الوظيفة التصويرية:

في هذه الوظيفة يتميز الوصف بالحركة، فهو ذو حركة في ذاته ونجد ذلك في الصفات والمواصفات والتي تتصل بحركة الأعمال بحيث يمكن لهاته الصفات أن تطور وتغير في أعمال الشخصيات ذلك سيطور في أحداث الرواية⁽¹⁾.

تقول مريم: " بعد أن ساروا الليل والنهار، وساروا النهار والليل، وصعدوا المرتفعات الشاهقة لاهئين فأنحدروا إلى أعماق الشعاب فاخترقوا غابات الخروب والبلوط... كانت الثمار البرية غداء جيد في البداية، الخروب والبلوط، وعنب الذئب والضرور، لكن عدد الأفواه كان يتجاوز قدرات الأشجار، فمات نصفهم وقضى أكثر الأطفال من البرد والجوع"⁽²⁾.

إن الحالة التي أصبح عليها أصحاب قرية مريم كانت سببا في تطور الأحداث، فالجوع والحرمان والمستعمر أدى بهم إلى الرحيل وما آلت إليه أحوالهم جراء الجوع وقلة الطعام إلى موت الأطفال.

بالإضافة إلى قولها: " وحين قمت في الصباح كان رأسي ما زال تحت تأثير الليلة الماضية، بثقل أحزانها وذكرياتهما، ليس هناك وسادة أودفن فيها أوجاعي، فلا حبة أسبيرين تمد مسحوقها لتهدئة أعصابي. هنا عليك أن تذهب بالألم نحو حافته... كنت قد عذمت فعلا أن أنفض الغبار العالق في داخلي توجهت نحو غرفتنا غرفة البنات وجذبت ماكينة الخياطة العتيقة المركونة في الزاوية رفعت غطاءها البني ومسحت الغبار كما عن نفسي أيضا"⁽³⁾، وهنا فهي تصور لنا حالتها بعد رحيل زوجها وألمها الذي لطالما كانت تخفيه عن مرآى الناس، لكنها أخيرا قررت أن تنهض بنفسها وتنفض الغبار عليها وتداوي جراحها بنفسها وأن تعمل وتكد وتزهر كما كانت سابقا.

(1) الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، ص 207.

(2) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 33.

(3) المصدر نفسه، ص 159.

3.1. الوظيفة السردية:

يلجأ السارد إلى اختيار مواضيع أوصافه ضمن النص السردية، يتوخى بذلك المناطق الاستراتيجية، وتعد البداية أو الاستهلال أحد البؤر البارزة لاستقطاب الفعل الوصفي، إذ تعتبر البداية السردية إحدى أهم الجسور التي ترتبط بين السارد والمتلقي وعليها يعتمد جلب المتلقي لمواصلة القراءة.

وفي ما يلي نعرض مقطع من "الخريف: عصر التراب" لنقف على الوظيفة التي يحققها الوصف الاستهلاكي حيث تقول: " ردمناها عند المغيب حمامة نافقة وعدنا صامتات خشخت الأشواك اليابسة تحت أقدامنا، أشواك الحمار والزعتر والشيخ الهزيل عند أعلى التلة حيث مدينة الأسرار، مررنا بعين "الصار" أين تراقصت الينابيع اليتيمة ثم نزلنا بجهد الصخور البيضاء المرقشة بالطحالب والكلس وبقايا الطيور"⁽¹⁾، فهذا المقطع الذي تبدأ به مريم هو مقطع سردي ظاهري ووصفي حقيقي باعتبار أنه يحمل معلومات حول المكان الذي كان مليئاً بالصخور والأعشاب والحشائش والينابيع وبقايا الطيور... الخ، فكل هذه الأوصاف تفتح أفقا توقعية لهذا المقطع وكذا ارتباطها بالعنوان (الخريف، عصر التراب).

وكذا في "رسالة رجاء" تقول: " جنّت أسعى نحوك أحط خطاي الواهنة باتجاه بابك وحين بلغته ويا للخسارة! كان بابك موصدا. الباب الكبير الداكن كان موصدا. وبدا خشبه العتيق من شجرة الجوز... كما لو كان يحمل كتابة مبهمة، ولما دقت النظر رأيت بالفعل كتابة، بما عساها تبوح؟ لا أعرف، هي كتابة دقيقة عارية من كل وضوح بحيث أن البصر لا يهتز أمامها..."⁽²⁾، نجدها في هذه الفقرة تسرد لنا عند ذهابها إلى بيته، حيث تصف لنا باب البيت كيف كان وأنه لطالما كان موصدا حتى الآن.

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص72.

(2) المصدر نفسه، ص 55.

ثانياً: الوظائف الدلالية

" سمينا وظائف دلالية مجموعة وظائف لبعضها علاقة بالوظائف الحكائية ولبعضها الآخر علاقة أوثق بالخطاب وبمضامين النص السردي"⁽¹⁾.

حيث أن الوظيفة الدلالية تعلن وتثبت المؤشرات والتي يمكن أن تكون منطلقاً لرصد الفضاء الدلالي، وبذلك يصبح الوصف ليس مجرد نشاط لغوي مخصوص، قد تكون له أبعاد في الحكيم، فهو فضاء للمعنى وبؤرة الدلالة والتأويل، نحاول فيما يلي استجلاء مختلف الوظائف الدلالية التي ينهض بها الوصف في الرواية.

الوظيفة الإشهارية:

يلجأ السارد إلى استخدام خياله ليسرح به بعيداً، وذلك من أجل إيصال القارئ إلى مشاهد وصور يعجز السرد الواقعي الوصول إليها، تقدم لنا الروائية في هذا المقطع حين تتلمس من ورائه دلالات إيحائية فنقرأ: "هذا هو جسد الريم يتجاوب مع الألوان أينما كانت حتى شجرة الخروب العتيقة أعادت لها الاعتبار واختفت بلونها الغامض. سبحان الله! من كان يدري؟ فهذه الشجرة بالتحديد أعادت للريم دينها وحملت جثتها ذات صباح على رأسها"⁽²⁾.

فهذا الوصف خيالي يجسد لنا ويصف حال الريم وانعكاس روحها على شجرة الخروب، فالروائية أخذت الوصف إلى أعلى درجاته يمكن أن نقول فاستعملت بذلك كلمات ساعدت على جعل الجملة أو الشيء الموصوف جمالياً أخذ بخيالنا لبعيد وجعلنا نشعر وكأنها لوحة فنية.

(1) محمد نجيب العمامي: الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، ص 196.

(2) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 89.

الفصل الثالث ————— وظائف الوصف

في رواية شجرة مريم

تقول مريم: " لقد كان العطش أرقى المتوهج في حنجرة النسيان وما زال حتى ليبدو في بعض اللحظات الأشد قتامة من نوع تلك المعضلات الأزلية منذ الطفولة وأكوام الملح تترسب على حواف كأسٍ وحلقي يجف، كلما قربت الكأس منها تتيبس شفاهي كجلد عيد الأضحى تحت شمس أوت المستكبرة"⁽¹⁾، فقد كانت تصف هنا حالها بين الماضي والحاضر وأن حياتها لم تتغير للأحسن بل تتأزم في كل مرة إلى الأسوأ، فوصفها كان جماليا بامتياز أخذ بالسرد إلى مشاهد وصور يعجز السرد الواقعي الوصول إليها كما ذكرنا سابقا.

الوظيفة الرمزية:

حيث تحمل هذه الوظيفة معاني قريبة في الآن نفسه، وذلك باستعمال الكاتب لعبارات مشفرة أو رموز لا يريد بها الإفصاح عن رأيه مباشرة، وفي هذه الفقرة تذكر لنا الكاتبة عن الفروق الاجتماعية بين المرأة والرجل وأن مجتمعنا العربي مجتمع ذكوري بامتياز، حيث تقول: " أنا لوني رمادي، لون التضحية والسكون، لون الإيثار والفداء الصامت، إذا شئت لون الرحيل المبكر والفجر، لون الحمام الخائف ولون السحاب الذي لا يجبل بالمطر، لون الخريف هو لوني والتربة الشعثاء..... أما أنت فلونك أخضر لون صارم، لون العناد والتحدي، لون الكبرياء واللامبالاة والحظ أيضا... " ⁽²⁾.

وفي مقطع آخر تقول: " كما قلت صرت مدينة محصنة، قلعة صخرية محكمة الإقفال لا تفشي أسرارها، ليس لها ثقوب أو منافذ، تحتفظ بخصوصياتها وتعتق خمرها في ظل وظلام، المخزون لا ينفذ"⁽³⁾، هنا تقصد الكاتبة أن المرأة عند بلوغها تصير وكأنها قلعة محكمة الإقفال كما ذكرت سابقا، وأن الأسرة والمجتمع بمجرد بلوغها يرونها وكأنها خطيئة يمكن أن تلحق بهم العار، فإنها قنبلة موقوتة يجب إخفاؤها كي لا تتفجر، فالمرأة عار...

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص55.

(2) المصدر نفسه، ص90.

(3) المصدر نفسه، ص106.

الفصل الثالث — وظائف الوصف

في رواية شجرة مريم

وتقول في "عطور": " وهكذا إذن يمكن لحذاء حقير _ مهما كان نوعه _ أن يضعك في المكان الذي يريد متعمدا التغاضي عن محاسنك الأخرى. وكيف كان حذاؤك! حذاء عامر بالذكرى الأولى، الطين!"⁽¹⁾، تحمل هذه الجملة أيضا عبارات مشفرة أو رموزا لم ترد الرواية الإفصاح عنها مباشرة، حيث أن الفروق الاجتماعية ونظرة المجتمع للثياب البالية نظرة حقيرة لم ولن تتغير إلى أن يبعث الله الأرض ومن فيها، فاللباس بطبيعة الحال يبين لنا مستوى الفرد المادي، والحذاء المرقوع دليل على الفقر المدقع، فلا أهمية لمستواك الفكري أو العلمي ما دمت لم تخرج من قوقعة الفقر التي لازالت بداخلها.

وفي عبارة "دموعي الساخنة"⁽²⁾، هي رمز لكثرة حزنها، وأن هذا الأخير سكن حياتها وفي كل مرة يعود إليها فلم يترك مكانا للفرح وحياتها كلها دموع وأحزان متوالية.

الوظيفة التعبيرية:

يأخذ السارد أفكاره من ثقافته الخاصة، حيث أنه ينتقي ألفاظه وتعابيرها، وتكون خاصة به كل حسب معجمه ومخزونه الثقافي.

ويقصد به أن الوصف بمثابة مرآة عاكسة للذات الواصفة، حيث تقول: " أزهار جسدي كفت عن إطلاق رائحتها العطرية كل شيء تيبس بعدك مثل حقل خريفي. تنكر الربيع لنا لذلك تجدني أتلفح داخل هذا الجلباب الفضفاض القاتم، الذي يشكل نوعا ما من المقاومة الصامتة أنت ترى صرت عزلاء أدعى أرملة في الوثائق الرسمية كما في الواقع"⁽³⁾، هنا مريم تصف حالها الذي آلت إليه بأنها أصبحت زهرة يابسة في حقل خريفي وأن الربيع مات بداخلها.

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 65.

(2) المصدر نفسه، ص 48.

(3) المصدر نفسه، ص 26.

الفصل الثالث ————— وظائف الوصف

في رواية شجرة مريم

وفي موضع آخر من "رحيق مالح" تقول: "جسدي كله رتق في رتق، هناك من لا تعرف حمل الإبرة، ما الحاجة للرتق إنها هذه _ جبهتي _ بعض الأيدي لا تعرف سوى جهاز التحكم عن بعد، وجهاز الهاتف، فأنت تقولين الخياطة، لقد سئمت هذا الوضع، أنا ملي ثقت دون فائدة"(1).

تصف لنا هنا حال جسدها كله جروح وأنها سئمت ماكينة الخياطة وما الفائدة منها إذا لم تستفد من شيء ولم تقدم لها هذه الماكينة راتباً تعيل بها عائلتها.

تقول مريم: " في عائلتي تقتل إناث العنكبوت ذكورهن، يحدث ذلك عادة قبل الأربعين ومن ثم تقضي هذه الإناث بقية حياتها، وربما إلى غاية شيخوخة ماكرة في التعرض المباشر لنهب الوحدة، وتدريب أنفسهن على تقديم التضحية المستحقة للأيتام الذين في أحضانهن"(2).

تذكر لنا مريم كيف لبنات عائلتها أن يترملن في سن مبكرة وكيف أنهن يدقنه دون زواج حتى يشبن فهذه هي الفكرة السائدة لدى بنات هذه العائلة، فهذا قضاء وقدر، وربما صدفة متوالية لا أحد يعلم بها.

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص26.

(2) المصدر نفسه، ص18.

الفصل الثالث وظائف الوصف

في رواية شجرة مريم

الوظيفة التزيينية أو الجمالية:

الوصف يؤدي دور جمالي، فهو الذي يضيف طابع تزييني على المقطع السردي سواء أكان بالمعنى أو بالتركيب (تشبيه، جناس، سجع...).

وتمثلت هذه الوظيفة في "وليمة الموتى" حين كانت تصف أباها الذي كان يجسد الكمال البشري فتقول: "وهكذا رأيناه مثل الفرسان؛ على صهوة حصان أزرق وعلى كتفه بندقية كأنه محمد بن السلطان"⁽¹⁾.

يظهر الطابع الجمالي من حيث المضمون جليا في المقطع الوصفي، فهي بذلك تصف هذه الشخصية وتشير إليها بمعالم واضحة للموصوف، حيث تقول: (مثل الفرسان على صهوة حصان) و(على كتفه بندقية كأنه محمد بن السلطان) هنا يظهر الطابع الوصفي جليا من خلال أنها تشبه أباها على أنه فارس مغوار قائد الفتوحات مثل محمد بن السلطان، وهذا يجسد لنا الوظيفة التزيينية.

وفي موضع آخر "واعتدت لهن متكأ" تقول: "البشرات الناعمة مثل الحرير، الأصابع الرفيعة المدربة على حمل الشوكة والسكين بأناقة، العطور المتضاربة، السيقان العارية والعباءات المتألئة والمنتشرة بدلال أنثوي، النادلات مثل الفراشات الملكية، الجدران المزينة بالزجاج المعشق"⁽²⁾.

تجلت الوظيفة التزيينية هنا من خلال وصفها للطبقة الراقية وصفا دقيقا وذلك من خلال قولها (البشرات الناعمة مثل الحرير) هنا تشبه السيدات الراقيات بأن بشرتهن ناعمة مثل الحرير لم يمسهن خدش (والعباءات المتألئة والمنتشرة بدلال أنثوي) دليل على كثرة الرفاهية والرخاء والثراء الفاحش.

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 37.

(2) المصدر نفسه، ص 46.

الفصل الثالث — وظائف الوصف

في رواية شجرة مريم

فبعد القراءة التحليلية للمقطع فهي تشير إلى الحياة الاجتماعية التي يعيشها أصحاب الطبقة الراقية.

الوظيفة التأطيرية:

هذه الوظيفة يسعى فيها الكاتب إلى تجسيد الإطار الخارجي للحوادث فهي وظيفة ديكورية موجودة بكثرة في الروايات الواقعية.

ونلمس هذه الوظيفة في " واعتدت لهن متكأ حين تصف مريم قائلة: " كان الطابق الأول مهياً بطريقة عصرية بمراياه وبلاطه اللامع، لدرجة خيل إلي فيها أنني بلقيس في حضرة سيدنا سليمان ضعيفة وأرتعش وأخشى السقوط في اللجة، كانت الزبونات تنتمين إلى عالم آخر غير عالمنا"⁽¹⁾.

نلاحظ هنا أنها بدأت بالحديث عن وضعية المطعم الطابق الأول تقول: (مهياً بطريقة عصرية بمراياه وبلاطه اللامع) ثم تنتقل إلى أنها تتصور نفسها جارية في قصر السلطان (أنني بلقيس في حضرة سيدنا سليمان)

وبهذا الوصف تكون مريم جسدت وصورت لنا حال المطعم وهو مكان تواجد عملها، فيصبح المقطع الوصفي قد أعطى صورة عامة للمكان.

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص46.

وظيفة التشويق:

فهذه الوظيفة يسعى فيها الكاتب إلى تحقيق أهم خاصية في السرد وهي عنصر التشويق، من أجل جذب القارئ وإثارة انتباهه وعواطفه ووجدانيته والتأطير عليه شعوريا ولا شعوريا، ففي "شاه بندر التجار" تقول سامية بن دريس: " تقول مريم: عند الثالثة بعد الظهر تدخل امرأة مرتبكة، بصحبة بنتين تنظر إلي بعينين قلقتين كنت وحدي، أجهز نفسي للمغادرة، كنت قد غسلت يدي ووجهي، وبدأت بفتح أزرار المنزر"⁽¹⁾.

فعنصر التشويق بارز في هذه الفقرة وهو بالظهور المفاجئ لتلك المرأة التي وصفتها مريم ووصفت حالها عند الدخول إلا أنها تركت فراغا فلم تكمل من هي تلك المرأة وما هو دورها في الحكاية.

وتقول أيضا: "كنت أصغي إلى نفسي ، حين أخرجتني تلك المرأة القلقة، وهي تحرك رأسها وأكتافها وتلفتت نحو الباب، هل هناك أحد يطاردها؟ لم أسألها، ولكن نظرت إليها بامتعاض، إننا ننهي العمل قبل صلاة الجمعة"⁽²⁾.

الوظيفة التوثيقية:

تقوم هذه الوظيفة بتسجيل الأحداث والوقائع، وللوصف دور كبير في ذلك ففي جوهرها تعطي إحالات توثيقية ودلالات تاريخية تسجيلية؛ تقول الروائية في ذلك: " القرفة هي القشرة من شجرة القرفة، وهي من عائلة شجرة العرعار والأفوكادو، إنها أقدم البهارات المعروفة، نجدها مذكورة في كتب صينية قديمة ترجع إلى 3000 سنة قبل الميلاد، وفي أوراق البردي

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص213.

(2) المصدر نفسه، ص214.

الفصل الثالث — وظائف الوصف

في رواية شجرة مريم

المصرية الفرعونية، وهي مذكورة أيضا في التوراة، أدخلها البحارة الأوائل إلى أوروبا ولاقت ترحيبا كبيرا، تتعدى أنواعها المائة، لكن أشهرها يأتي من سيريلنكا والصين⁽¹⁾.

ومن هنا تعطينا معلومات وتاريخ اكتشاف القرفة وأين اكتشفت وما هي جذورها الأولى.

وهذا ما ذكرته أيضا في "السبت: زنجبيل" و"الأحد: شربة عدس بالكمون" وكذا "الأربعاء: زعفران"، فقد عرفت هنا فأعطت معلومات توثيقية أيضا للزنجبيل والكمون والزعفران كما ذكرت سابقا في القرفة.

وظيفة الحكمة:

تقول "مريم": "وفجأة كما لو أن زلزالا حدث، لا أدري كيف غافل ذلك الرجل الطويل المتين العضلات ذو الصدر العريض عون الأمن سوى أن زوبعة مجنونة انقضت على الطاولة حيث كنا نجلس، وسحبت خديجة التي لم تجد فرصة للصراخ، جرجرتها على الأرض فانحل خمارها وبقي على الأرض وبرز شعرها، فقد بقيت نظراتها معلقة بصدري، صرخت، كان المطعم شبه خاوٍ عند الثالثة ظهرا فلم ينفع صراخي، رُحت أعدو خلفه فوجدته يحشرها داخل سيارة رباعية ذات زجاج مدخن، ثم يشغل المحرك وتتطلق السيارة بسرعة غاضبة"⁽²⁾.

في هذا المقطع تسرد لنا مريم عملية خطف زوجة شاه بندر التجار، فتروي لنا تفاصيل العملية وتأزم الأوضاع إلى أن تخبر الشرطة وإدلائها بالشهادة وما رآته في المقطع: "قامت منال بتبليغ الشرطة واضطرت الإدلاء بشهادتي ووصف تفاصيل الحادثة وعلاقتي

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص222.

(2) المصدر نفسه، ص230.

الفصل الثالث — وظائف الوصف

في رواية شجرة مريم بالضحية دون أن أجرؤ على ذكر اسم المحامية، قلت إنها مجرد زبونة تعرفت عليها في المطعم، وصرنا قريبتين من بعضنا هكذا أوصتني المحامية مقابل العمل...⁽¹⁾.

الوظيفة الانفعالية:

في الوظيفة الانفعالية يصف السارد لنا الصراعات الداخلية والخارجية للشخص وكذا يصور لنا الأنا في مختلف أحوالها الشعورية، وكذا تشخيص الألم والانفعال، وهذا ما نجده في وصف مريم لأمها عند وفاة ابنتها (الريم) وما آلت إليه، وكيف أن نار الحقد هبت داخلها، تقول: " إذن بعد الريم امتلأت أمي بسائل أسود معتق كالقطران فالزفت اسمه الحزن. هل قلت الحزن؟ وما هو الحزن؟ لا أدري، ولكن أمي لم تكن مطلقاً حزينة، كانت تتخبط في الظلام، لأن الحزن يمنحنا لحظات مفعمة بالرقّة، وأمي لم تكن كذلك لعلها كانت تنهياً لمعركة كبيرة قادمة وتهتف: " دع نيران الحقد تأكلك، دع القلب يشتعل بلهبها ويلتهم الأخضر واليابس والرطب والجاف"⁽²⁾.

وتقول: " كانت آلة التأديب هذه المرة قاسية لأبعد الحدود، أتلوى كالشعبان فلا أصرخ، أسمع صفيق حزامه على ساقي، وفوق زندي وظهري وكتفي ولا أطلب النجدة، أعلل النفس لعل في هذا الألم تكمن حرיתי العصية أليست الحرية دوما تأتي على بحر من الدماء"⁽³⁾.

تصف مريم أمها أثناء التعذيب وما لحق بجسدها من جروح ومن نفسها من ضربات آلمت قلبها.

(1) سامية بن دريس: شجرة مريم، ص 231.

(2) المصدر نفسه، ص 85.

(3) المصدر نفسه، ص 154.

خاتمة

من خلال ما تم عرضه في دراستنا لبنية الوصف في رواية "شجرة مريم" ل: سامية بن دريس وصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- يعد الوصف من أحد أهم البنيات الخطابية في تشكيل النصوص الحكائية وذلك من خلال تحليلنا لرواية "شجرة مريم" لـ"سامية بن دريس" وهي بذلك تخضع لأنماط متنوعة، وموضوعات دلالية متعددة.

- أخذ الوصف في اللغة مفاهيم كثيرة منها الكشف والإظهار، وعدّ أيضا زينة وحلية، وأن الوصف نعت للموصوف بما فيه.

- الوصف يشمل مجالات عديدة ويحمل عناصر أساسية من بينها: الأشياء والأشخاص والأمكنة، وله أشكال لغوية فهو قد يأتي على شكل مفردات أو مركب نحوي، أو مقطع، ومنه نستخلص أن الوصف لا يقتصر على دراسة الشخصيات والأمكنة فقط، بل دراسة البنية العامة للنص ككل.

وقد تتبعنا تجليات الوصف في رواية شجرة مريم لنصل في النهاية إلى الاستنتاجات التالية:

- يعد الوصف عن طريق القول وعن طريق الرؤية من أبرز الأنماط الوصفية حضورا في المتن الروائي (شجرة مريم) إلا أن ذلك لا ينفي وجود النمط المتبقي (الوصف عن طريق الفعل) ومهما يكن نوع الوصف الحاضر في هذا المقطع أو ذاك، فإنه يتراوح في بنيته بين وصف خطي قائم على التعداد البسيط للصفات والأفعال... ووصف متشعب قائم على عدة مستويات كما كشفت عنه البنيات التشجيرية للمقاطع وكشف عنه الامتداد الخطي على مستوى الكتابة أو الخطاب.

- المقاطع الوصفية التي أخضعناها للتخطيط، كيف أنها تتنوع مكوناتها وكيف تختلف مواقعها حسب النص السردي، ورغم اختلاف وتنوع التخطيطات إلا أنها تكشف عن أمرين: اشتراك مخططات الوصف كلها في خاصية الترتاب والتعلق، وأنها تعتمد على العمليات الوصفية (العناصر، الخاصيات، التأطير).

- شجرة الوصف تكشف لنا هيكل المقاطع الوصفية، فهذه العملية تقوم بتحديد مظاهر الوصف وتفرع العمل الرئيسي إلى مراحل الجزئية.

- ربط "جيرار جينات" مفهوم الوصف بالحكي، فسامها عملية التشخيص وصفا سواء للأحداث أو الشخصيات، أما "فيليب هامون" عرّف الوصف بأنه وحدة نصية مثلها في ذلك مثل السرد والحوار والمشهد، ومنه فكل من جيرار وفيليب يتفقان حول مفهوم الوصف بأنه يركز على الخصائص الشكلية للشيء دون أن يتجاوز إلى الخصائص العميقة للموضوع.
- "جون ريكاردو" يشير في مفهومه للوصف بأن هناك علاقة بين الوصف والمعنى الذي يتقصده الواصف، فكلما كان الوصف دقيقا كان المعنى واضحا.
- السرد لا يستطيع أن يتخلى على عنصر الوصف لأنهما مترابطان، بل أكثر من ذلك، بل بلغ الوصف أهمية كبيرة من السرد.
- الجميع يتفق حول أهمية الوصف، ولزوم الحاجة إليه في النص السردي فسواء كان منفصلا عنه أو متداخلا معه، فإن واقع النصوص يثبت أن لا غنى لأحدهما عن الآخر.
- يعد "جيرار جينات" من الأوائل الذين وضعوا وظائف الوصف، فقد اهتدى إلى وظيفتين حكائيتين كبيرتين، هما الوظيفة الزخرفية والوظيفة الرمزية والتفسيرية في الآن نفسه.
- ما يتعلق بوظائف الوصف في رواية شجرة مريم فقد نلاحظ أن الوصف في المتن الروائي غالبا ما يكون ملحقا بغاية تبرر وجوده وحضوره في النص السردي، سواء كانت هذه الغاية بارزة كتقديم شخصية (مثل شخصية مريم، شخصية الام، شخصية الريم...) أو تحديد الإطار الزمكاني للحكاية (قرية كاف الحمام، المطعم، المتجر، المقبرة) ومنه الوظيفة السردية افتتاحية غالبا. أما الوظيفة التعليمية او الإخبارية تقوم باعطاء معلومات ومعارف ونجد الوظيفة التصويرية تتميز بوصف الحركة بتقديم الصفات والمواصفات المتصلة بحركة الشخصيات بالمتن الروائي كسكان قرية كاف الحمام الذين ساهموا في بناء موطن جديد لهم، كما نلاحظ وجود وظيفة التشويق والحبكة والتأطير من اجل اثاره القارئ لمعرفة الأحداث الجديدة في الرواية.

قائمة المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصدر:

ـ شجرة مريم: سامية بن دريس، دار ميم للنشر الجزائري، ط1، 2016.

ـ المراجع:

1. أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي: الموازنة بين الشعر أبي تمام والبحتري،
تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1973، ج1.
2. آمنة يوسف: تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق، دار فارس للنشر والتوزيع،
ط2، منقحة، 2015.
3. جميل حمداوي: مكون الوصف للرواية العربية.
4. حميد لحميداني: بنية النص السردى من المنظور الأدبي، المركز الثقافي
العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1991.
5. رشيد بن مالك: قاموس المصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار
الحكمة فيفري، 2000.
6. رمضان الصبار: الفن والقيم الجمالية، بين المثالية والمادية، دار الوفاء لندنيا
للطباعة والنشر، 2001.
7. السيد إبراهيم: نظرية الرواية، دراسة مناهج النقد الأدبي في معالجة القصة،
دار القباء للطباعة والنشر، مصر، 1989.
8. سيزار أحمد قاسم: دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية
العامة للكتب، القاهرة، د ط، 1978.
9. الصادق قسومة: طرائق تحليل القصص، دار الجنوب للنشر.
10. عبد المالك مرتاض: في نظرية الروائي بحث في تقنيات السرد، عالم
المعرفة، سلسلة الكتب الثقافية، شهرية، الكويت، صدرت 1998 بإشراف
أحمد مشاري.

11. عبد الناصر هلال: آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، تص: عبد الحليم فرحات، الناشر: مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 2006.
12. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، ط6، 1993.
13. مبروك المناعي: الوصف في شعر المتنبي في أنماط النصوص الأبنية الفنية والتأويل، المطابع الموحدة مجموعة نبراس للنشر، تونس، 2001.
14. محمد نجيب العمامي: في الوصف بين النظرية والاجراء، دار محمد علي للنشر، صفاقص الجديدة، الطبعة 1، 2010.
15. وليد النجار: قضايا الرد عند نجيب محفوظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1909.

المراجع المترجمة:

16. جان ريكاردو: قضايا الرواية الحديثة، تر: صياح الجثيم، منشورات وزارة دمشق، 1988.
17. جيرار جينات: حدود السرد، تر: بن عيسى بوحاملة، مجلة أفاق.
18. جيرار جينات: خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمار الحلي، منشورات الاختلاف، ط9، 2003.
19. جيرالد برنس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام (C)، ميرث للنشر والمعلومات، شارع قصر النيل، القاهرة، 2013.
20. رولان بارت وآخرون: طرائق التحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب، المغرب، الرباط، ط1، 1998.
21. رولان بارت وآخرون: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1993.

22. رولان بارت وفيليب هامون، أيان واط، ميكائيل ريفاتير: الأدب والواقع، تر:

عبد الجليل الأزدي ومحمد معتصم، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة،

ط1، 1992.

23. فيليب هامون: في الوصفي، تر: سعاد التريكي، المجمع التونسي للعلوم

والآداب والفنون، بيت الحكمة، ط1، 2003.

_ المراجع الفرنسية:

24. Adam JM, Petit Joan A: le text descriptif (Poétique,

Historique et Linguistique textuelle) avec la collaboration

de Revaz. F Édition Nathan, Paris, 1989, l'introduction.

25. Adam JM: Élement de Linguistique textuelle (théorie

et pratique de l'analyse textuelle, Hardaga, liégeois,

Belgique, 1990.

26. Adam JM: le Réat, que sais je? 2^{ème} édition, Avril

1987.

27. Jean Ricardou: Nouveaux problèmes du Roman.

Edition du seuil, 1978.

_ المعاجم والموسوعات:

أ. العربية:

28. محمد بن يعقوب الفيروز الأبادي: قاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، ط1،

1371هـ / 1952م.

29. محمد جنو: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010.

30. معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1380هـ / 1960م، المجلد

الخامس.

31. ابن منظور: لسان العرب، تح: عامر حيدر، مر: عبد المنعم خليل إبراهيم،
المجلد6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.
32. ابن منظور: لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، المجلد التاسع،
1968.

_ بالفرنسية:

33. Greas.A.j,courtees.J:Sémiotique Dictionnaire raisonné de la
théorie du langage, collection dirigée par Bernard et François,
saint Germain, Paris 1993.
34. Le Robot: Dictionnaire d'apprentissage de la langue François:
rédaction dirigée par Alain Rey, Dictionnaire le robot 12,
avenue d'Italie, ParisXII

_ الرسائل:

35. عبد المالك مرتاض: ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية
حمال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
36. عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم
المعرفة، سلسلة الكتب الثقافية، شهرية، الكويت، صدرت 1998 بإشراف
أحمد مشاري.
37. محمد الصالح بوعمراني: سيرة المكان (في دار الباشا)، مجلة عمان
مجلة ثقافية شعرية، حزيران، 2006، العدد 132.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	فهرس الموضوعات
	_ شكر وعرهان
ب	_ مقدمة
الفصل الأول: الوصف مقارنة نظرية	
8	ا. مفهوم الوصف لغة واصطلاحا
8	أ. لغة
9	ب. اصطلاحا
13	اا. الوصف والسرد
13	_ العلاقة بين الوصف والسرد
18	ااا. بنية الوصف
19	1.3. مفهوم النظام الوصفي
20	2.3. مفهوم المقطع
21	3.3. بنية الوصف الأساسية
23	4.3. بنية الوصف المقطعية
26	اا. اندراج الوصف في السرد
28	1.4. الوصف عن طريق الرؤية
29	2.4. الوصف عن طريق القول

فهرس الموضوعات

30	3.4. الوصف عن طريق الفعل
32	٧. وظائف الوصف
32	_ تعريف الوظيفة
32	1. الوظائف الحكائية
32	_ الوظيفة التعليمية أو الاخبارية
33	_ الوظيفة التمثيلية والتصويرية
33	_ الوظيفة السردية
34	2. الوظائف الدلالية
34	_ الوظائف الإشهارية
34	_ الوظائف الرمزية
35	_ الوظائف التعبيرية
36	_ الوظائف الأيديولوجية
37	_ الوظائف الجمالية والتزينية والزخرفية
38	_ الوظائف الإبداعية
الفصل الثاني: بنية الوصف في رواية "شجرة مريم"	
45	بنية الوصف في رواية شجرة مريم
52	_ بنية الوصف عن طريق القول

فهرس الموضوعات

57	_ الوصف عن طريق الرؤية
64	_ الوصف عن طريق الفعل
الفصل الثالث: وظائف الوصف في رواية شجرة مريم	
70	أولاً: الوظائف الحكائية
70	_ الوظيفة الاخبارية
72	_ الوظيفة التصويرية
73	_ الوظيفة السردية
74	ثانياً: الوظائف الدلالية
74	_ الوظيفة الاشهارية
75	_ الوظيفة الرمزية
76	_ الوظيفة التعبيرية
78	_ الوظيفة التزيينية أو الجمالية
79	_ الوظيفة التأثيرية
80	_ وظيفة التشويق
80	_ الوظيفة التوثيقية
81	_ وظيفة الحكمة
82	_ الوظيفة الانفعالية

فهرس الموضوعات

84	خاتمة
90	قائمة المصادر والمراجع
95	فهرس الموضوعات
99	الملخص

الوصف في "شجرة مريم" لـ: "سامية بن دريس"، بحث سلطنا الضوء فيه على دراسة الوصف وبنيته وأهم وظائفه، فطرحنا فيه قضية الوصف من المنظور الإبداعي، فتحول الأمر من البحث في تجلياته البلاغية والاسلوبية إلى النظر في تشكيلاته البنيوية، ومن التركيز في ابعاده التصويرية إلى البحث في مختلف التأثيرات والأدوار النصية التي يشغلها بنيويا ودلاليا.

تناولنا في الفصل الأول مقارنة نظرية للوصف تحتوي على مختلف المفاهيم والمقولات النظرية المتعلقة بمبحث الوصف، أما الفصل الثاني جاء دراسة تطبيقية تناول بنية الوصف وحضوره في المتن الروائي، أم الفصل الثالث جاء في عرض مختلف الوظائف (الحكاية والدلالية) التي يشغلها هذا الوصف.

الكلمات المفتاحية: بنية، وظائف، وصف، وصف/سرد.

Description in "The Tree of Mary" by: "Samia Bin Driss", a research in which we shed light on the study of description, its structure and most important functions, so we raised the issue of description from a creative perspective. Its pictorial dimensions to research the various textual influences and roles that it occupies structurally and semantically.

In the first chapter, we dealt with a theoretical approach to description that contains various theoretical concepts and statements related to the topic of description, while the second chapter came as an applied study dealing with the structure of the description and its presence in the narrative body, or the third chapter came in the presentation of the various functions (narrative and semantic) occupied by this description.

Keywords: structure, functions, description, description/narration.